المشرق

تموز ١٩٣١

اسرة القديس يوحنا الدمشقي

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في ١٨ و١٩ نيسان الفائت ، احتُفل احتفالاً باهرًا بتدشين معبد جديد على اسم القديس يوحنا الدمشقي ، اقامه الآباء اليسوعيون في المحلّ الذي كان يسكنه القديس في دمشق . فرأينا ان نورد شيئًا عن اسرة ذاك القديس العظيم الذي يعدّ بحقّ عنوان فخر ومجد في الكنيسة الشرقية .

في الايام الاولى من شهر اذار سنة ٦٣٥ ، وصل العرب بقيادة خالد ابن الوليد الى ابواب دمشق ، فبدأوا حصارها . وضيّقوا عليها مدة ستة اشهر ، حتى ايلول من السنة نفسها . وكانت الحامية البيزنطية من جنود الامبراطور هرقل قد تركت المدينة هاربة في شهر آب . فلم يبقَ للدمشقيين الا العمل على مصالحة المحاصرين .

فاوفد المسيحيون للمخابرة بالصلح اسقف دمشق ، يعاونه رجل اسمه

منصور بن سرجون كان ، دون شك ، اوجه سكان المدينة[1] ؛ وكان سلفاؤه يتعاقبون ، منذ امد مديد ، في مناصب الادارة لاسيما المالية منها . وكان منصور نفسه يدير الشؤون المالية في دمشق منذ اواخر سني الامبراطور موريس (٥٨٢–٦٠٢) . وقد زعم فون كريمر انه من اصل يوناني ، ولكنه لم يدعم زعمه بالبراهين ؛ ومن الظاهر ان اسمه لا يؤيد هذا الزعم ، فهو عربي النصف ، سرياني النصف الآخر . اما ما يمكننا تأكيده فهو ان منصور بن سرجون كان من اقدم أسر دمشق ، وانه كان يستحقّ لقب « المسيحي كلّ المسيحي » الذي ينعته به المؤرخ اليوناني تيوفانوس . ولم يكن منصور هذا الّا جدّ اللاهوتي الشهير القديس يوحنا الدمشقي[2]

وقد أيد منصور وطنيته بذهابه ، مع الاسقف ، لمخابرة العرب المحاجين على المدينة ، والتداول معهم بشأن الصلح . ساعده في ذلك اطلاعه الواسع على لغة العرب وعاداتهم ، ومعرفته حالة مدينته وسكانها معرفة لم يكن يجاريه فيها احد ؛ فكان افضل من يوفد لمثل تلك المهمة الدقيقة . واذ بدأت المناقشات في شروط التسليم ، اظهر منصور كل مقدرته واستمان بجميع مواهبه ليخفّف عن عاتق وطنيه مبلغ الغرامات المالية . وقد نجح في ذلك كل النجاح .

ولا شك انه ، في تلك المناسبة ، قابل ، للمرّة الاولى ، يزيد اخا معاوية الخليفة المقبل ، الذي كان من مشاهير قوّاد العرب اذ ذاك . فاثّرت في يزيد كل التأثير مهارة منصور وبلاغته ، وخصوصاً تضلّعه من الشؤون المالية . فلم يعيّن والياً على منطقة دمشق حتى سلّمه ادارة الاموال . على ان يزيد لم يهنأ طويلاً بولايته فمات

١) في ما خصّ مآخذ هذا المقال ، نحيل قرّاءنا الكرام الى كتابنا في « معاوية » : « *Etudes sur le règne du calife omaiade Mo'âwia I, Beyrouth, 1908* » الصفحات ٢٥٩ ، ٢٨٤–٢٦٦

٢) كان احد منازله قائماً في بستان القطّ . راجع ابن عساكر : تاريخ دمشق (مخطوطة المكتبة الظاهرية) ٢ : ٢٨ – والمجلة الاسيوية *Journal asiatique, 1896, 1e partie p. 576.*

بالطاعون بعد سنة ، وخلفه اخوه معاوية . فاقرّ منصورًا بمنصبه ، واستفاد من مهارته التي سرعان ما اعادت النظام في الشؤون المالية وقد كانت تضعضعت طبعاً على اثر الفتح .

وعندما عُيّن معاوية والياً على بلاد الشام بكاملها ، وسّع صلاحية منصور حتى شملت جميع منطقته . ولما كان معاوية نفسه متحدرًا من اسرة اشتهرت بالتجارة والمعاملات النقدية ،كان يدرك حق الادراك اهمية الادارة المالية ويقدر مهارة ماليّة منصور وذكاءه حق قدرهما . وزاد في ذلك انه كان بحاجة دائمة مستمرّة الى المال لتحقيق مشاريعه العظيمة التي بدأ بالتفكير بها منذ ذاك الحين. ولم يكن ليجد بين رجاله من العرب من يقدر على القيام مقام الدمشقي، ولا مقام غيره من وطنييه . ولهذا ظلّ جميع اصحاب المناصب من المسيحيين في مراكزهم ؛ وظلّت اللغة اليونانية وحدها لغة دوائر ديوان الدولة . ولم يلبث معاوية ان عيّن منصورًا مديرًا لديوان الجبايات وحساب الجيش . فكان كأنه عيّنه وزير المالية والحربية ، وهما الادارتان الوحيدتان اللتان اهتمّ بهما العرب . ولم يكن غير منصور ليفهم طريقة تنظيم تلك الدوائر المتشعبة ، فكان عليه ان يسهر على جباية الضرائب ، واعالة الجيوش ، وترتيب ذخائرها وعُددها المختلفة ، وبناء السفن وتهيئة الاسطول ، عندما شاء معاوية مباشرة الحرب البحرية في الاسلام. وعندما بويع لمعاوية بالخلافة ، سنة ٦٦٠ ، غدا منصور ، وهو المطّلع على جميع المفاوضات ، الواقف على اسرار الدولة ، الوزيرَ الاول في السلطنة العربية . فاصبح لا مدير المالية السورية فحسب ، بل وزير مالية الخلافة باسرها يهتمّ بتموين الجيوش البرية والبحرية .

وما زال في ذاك المنصب المهمّ حتى آخر حياته . وقد كان في زمن الشيخوخة ، اذ اولاه معاوية ثقته . ولكن ليس لدينا ما يدلّ على انه ادرك آخر خلافته التي طالت حتى سنة ٦٨٠ . وعند وفاة منصور خلفه ابنه لا في وظيفته فحسب ، بل في ثقة الخليفة ايضاً . وقد برهن معاوية عن هذه الثقة برهاناً جليًا ، اذ شعر بدنوّ اجله ، في غياب ابنه يزيد عن الشام وكان قد سمّاه ولي عهده ، فشاء ان يعين مجلس وصاية يدير شؤون الدولة بعد وفاته حتى وصول

ابنه يزيد ؛ فألف المجلس وجعل فيه ، مع عضوين مسلمين ، وزيره الاول وخادمه الامين ابن منصور الدمشقي النصراني .

اما علاقة الخليفة يزيد بابن منصور فلم تكن جديدة ، لانهما كانا قد نشأا معاً وتربيا معاً . واذ كان يزيد لا يزال وليّ عهد ، كثيراً ما كان يهرب من رسميات قصر الخضراء ، مبتعداً عن نظر ابيه القاسي ، فيلجأ الى منزل الدمشقي الكائن في بستان القط والذي كانت ساحته الواسعة تجاور السور جنب باب كيسان . فكان يلتقي هناك بصديقه الاخطل ، الشاعر الكبير ، فيلهوان مع ابن منصور ، ويشنفون الآذان بسماع الموسيقى الراقية ، ويرتشفون من اكواب الذهب خمر لبنان الذهبي . فلا عجب ان يكون يزيد ، وقد اصبح خليفة ، وضع كل ثقته بوزير اليوم وصديق الامس ، فادرك هذا نفوذاً كبيراً لم ينقطع الا لما فاجأ الخلافة من وفاة يزيد ، في تشرين الثاني سنة ٦٨٣ .

بعد وفاة يزيد ساد عصر الفوضى . اذ بويع بالخلافة لمعاوية الثاني ، وكان قليل الصحة مستديم العلة ، فعيّن ثلاثة يشرفون على الادارة ، ومن هؤلاء الثلاثة كان ابن منصور الدمشقي . ثم تنزّل الخليفة عن العرش ؛ فبويع مروان الاول الذي ملك عشرة اشهر قضاها بالحروب قامعاً الثورات ليستعيد الشام ومصر . ومن الواضح ان النفوذ الاكبر في تلك الحالة كان لرؤساء الجيش . على ان الدمشقي احتفظ بمركزه وتأثيره ، لاننا نراه لا يزال في وزارة المالية حتى آخر خلافة عبد الملك بن مروان (تشرين الاول ٧٠٥) .

وكان قد اخذ بعض التغيّر يدخل عقلية الخلفاء ، منذئذ ، فمالوا الى « تعريب » جميع اداراتهم ، وقوي تعصب الفاتحين العنصري والديني حتى اصبح مما لا يُطاق ان يحكم الدولة رجل مسيحي . فاخذوا بادخال اللغة العربية ديوان الحسابات ، حتى رقي الوليد العرش ، وهو من كبار المتطرفين بالوطنية ، فانتزع من ابن منصور الدمشقي ادارة المالية ووزارة الدولة ، وعيّن مكانه رجلاً عربياً من اتباعه ومريديه .

وكان يترعرع اذ ذاك ، في بيت الدمشقي ، ولده يوحنا الذي كان له ان يخلّد اسم اسرته ، وان يصبح مظهر مجد وفخر للكنيسة الشرقية . على اننا لا

نعرف تاريخ مولده ، كما اننا لا نعلم شيئاً يُذكر عن حوادث شبابه ، سوى انه أُنشئ تنشئة ممتازة ، فتعلم على مشاهير علماء عصره ، واتقن منذ يفاعته جميع العلوم والفنون الدينية والمدنية حتى الموسيقى . وتضلّع من اللغات الثلاث : الارامية ، التي كانت لغته الاصلية دون شك ، واليونانية ، والعربية . وان تآليفه تشهد له خير شهادة بتضلعه من العربية . اما تاريخ وفاته فلا يمكننا تحديده بتدقيق ، ونحن نعلم انه لم يعش حتى ما بعد السنة ٧٥٣ ، بل نرجح انه توفي نحو السنة ٧٤٨ ٧٤٩ .

تبع يوحنا في اول عهده مهنة اسلافه في ادارة الشؤون المالية ، مستفيداً من اختبارات ابيه ونصائحه ؛ فحذا حذوه في ذاك المنصب حتى خلافة هشام (٧٢٤—٧٤٣) ، فاستعفى ، واعتزل الاعمال . وما هي مدة قصيرة حتى ودّع العالم وانصرف الى الروحيات ، مختلياً في دير القديس سابا نواحي في القدس . وهناك اخذ باتمام تلك المؤلفات النفيسة التي جعلت من القديس يوحنا الدمشقي اغزر كتّاب الشرق ، على تنوّع مؤلفاته من فلسفة الى لاهوت ، الى شعر ، الى خطابة ، الى تاريخ .

وبعد وفاته ، لا نعرف احداً اشتهر من تلك الاسرة الشريفة التي اخرجت ، مدة ثلاثة ارباع القرن ، افضل الوزراء للدولة العربية .

ربله وآخر ايام اورشليم

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

٢

المصريون يحثون بني يهوذا على الوقوف في وجه نبوكدرصر

واما نبوكدرصر « فسيتقدم كتابورَ بين الجبال ومثل الكرمل عند البحر » (ارميا ٤٦ : ١٨) و« مصر عجلة بارعة الجمال . قد خرج عليها الزنبور من الشمال . وكذا مستأجروها (mercenaires) في وسطها كعجول مسمنة . قد ولوا وهربوا جميعاً ، ولم يقفوا ، لانه قد حلَّ بهم عطبهم وقت افتقادهم . صوتها كالحية يسري لانهم زاحفون بجيشهم وآتون عليها بفؤوس كحاطبي الاشجار » (ارميا ٤٦ : ٢٠-٢٢) « هاءنذا افتقد ... فرعون وجميع المتوكلين عليه . واجعلهم في ايدي طالبي نفوسهم في يد نبوكدرصر ملك بابل وايدي عبيده .»

ولم يكتفِ ارميا بحثّ الشعب على ترك المصريين . بل طلب من باروك ان يكتب في درج كتاب نبوته وان يتلوه على الشعب في بيت الربّ . ففعل باروك واخذ الرؤساء منه الدرج ، وتلوا منه قسماً على الملك يوياقيم وكان جالساً « في بيت مشتاه والكانون امامه متقد » . فشقّ الملك الدرج ، والقاه في النار حتى فني . فاعاد ارميا املاء فحوى الدرج على باروك ، فكتب ذلك باروك في درج ثانٍ . وقال له ارميا : « تقول على يوياقيم ملك يهوذا هكذا قال الرب انك قد احرقت هذا الدرج قائلاً لماذا كتبت فيه وقلت ليأتينّ ملك بابل وليدمرنّ هذه الارض ويخليها من الناس والبهائم . فلذلك هكذا قال الرب على يوياقيم ملك يهوذا انه لا يكون له من يجلس على عرش داود وتكون جثته مطروحة للحرّ في النهار والقرس في الليل » (ارميا ٣٦ : ٢٩-٣٠) وقد تجاسر وقال له ايضاً : « انه لا يُلطم عليه آهاً يا اخي او آهاً يا اختي ولا يُلطم عليه آهاً واسيداه او آها واجليلاه . بل يُطمر طمر الحمار وهو ممزّق مطروح

بعيداً عن ابواب اورشليم» (ارميا ٢٢ : ١٨—١٩)

وبينما كان انبياء اورشليم يضيعون الوقت في الجدل على اي الطرق احسن: محالفة مصر ام الخضوع لنبوكدرصر ، كان ابن ملك بابل يتقدّم بجحافله غازياً البلاد ، وناشراً فيها لواء بأسه. وكأن قدوم جيوشه أثّر في ذهن ملك يهوذا ، فلم يجرأ على مقاومته . وقفل نبوكدرصر راجعاً الى بلاده بعد ان تأكد خضوع البلاد لسطوته . ولكن كيف يرضى ملوك مصر بهذا الخضوع وكيف يقبلون على انفسهم جيرة ملك جبار كملك بابل ؟ الم تحنكهم الايام فيعرفوا خطر هذا الجوار . لو كانت حدود بابل مثلاً عند كركميش ، شمالي سورية ، او عند مجدّو ، شمالي بلاد اسرائيل ، لسهل الامر عليهم . لان البلاد التي تقوم بينهم وبين سلطنة بابل تكفي لجعل حاجز يمنع عبور الجيوش الكلدانية او يؤخرها ، ريثما تتهيأ مصر للدفاع عن كيانها . ولكن انى لهم ذلك والعدوّ في جهات غزة على ابوابهم. فاذا غُلبوا على امرهم في معركة ما ، اصبح العدو بعد المعركة في عقر دارهم . وما هي القفار التي بينهم وبين غزة ؟ ألم تجتزها جنود الفراعنة غير مرة ، مهما كانت عليه من الصعوبة ، أوَ لم تجتحها شعوب الرعاة ، ثم جنود اشور لاحتلال البلاد المصرية ؟ ولذلك فلن يهدأ للفرعون بال ما دامت الشعوب السورية هادئة تخضع لبابل خضوعاً تاماً . ولذا كان الفرعون دائماً يحرّضها على طرد الكلدان من بلادها ، ويحثها على الثورة ، واعداً اياها بنجدتها على طاغيتها ، وبارسال الجنود المصرية للحماية عنها . وكيف لا يُخدع ملك اسرائيل بهذه الوعود ، وهو صنيع الفرعون ، ومصر على مقربة منه. اما بابل فبينه وبينها بلاد واسعة تهبّ معه متقدية به وتقوم على البابليين.

نبوكدرصر يستولي على اورشليم للمرة الاولى

ولم يبتعد نبوكدرصر من البلاد حتى ظن يوياقيم ان الوقت قد حان ، فنادى شعبه للثورة ، غيرَ مبالٍ بنصائح ارميا النبي ولا بوعيده. وما وصل خبر ذلك الى بابل الا اوفد نبوكدرصر سريعاً احد قوّاد ابيه لخنق الثورة في مهدها . وحين رآها تتفاقم وتكاد تنتشر في البلاد المجاورة طار اليها بجنده .

فما وصل الى قرب بلاد يهوذا الا كان يوياقيم قد توفي ، وقام مكانه ولده يوياقين . ولكن لم يطل عهده في الملك ، وقد قال فيه ارميا انه لو كان خاتمًا بيد الرب اليمنى لنزعه منها ، وقال ايضاً معبّرًا عن افكار الله : « وجعلتك في ايدي طالبي نفسك وايدي الذين تفزع من وجوههم وفي يد نبوكدرصر ملك بابل وايدي الكلدانيين . وقذفتك انت وامك التي ولدتك الى ارض اخرى حيث لم تولدا و هناك تموتان . . . هكذا قال الربّ اكتبوا هذا الانسان عقيماً رجلًا لا يُفلح في ايامه ولا يفلح من ذريته احد يجلس على عرش داود ويتسلط على يهوذا من بعد » (ارميا ٢٢ : ٢٥ و ٢٦ و ٣٠)

وما مضى على حصار اورشليم زمن، وعلى تبوّء يوياقين العرش ثلاثة اشهر ، الّا دخل الكلدان اورشليم وقبضوا على ملكها وعلى كبار المملكة ، فساقوهم جميعاً مكبّلين الى بابل بعد ان اعملوا النهب والسلب في المدينة، وسطا نبوكدرصر على كنوز الهيكل ونهب انفسها . فلم يبقَ في البلاد زعيم الا سيق الى بابل ، وترك نبوكدرصر في القدس احد احفاد يوشيا، ودعاه صدقيا، وملّكه على البلاد .

ارميا يحذر الشعب من الثورة على ملوك بابل

ولكن هل يقبل شعب ذو عقيدة ان يهان ويُذلّ ، بما تعمل النكبة في نفس المغلوب اذا كانت هذه النفس شامخة ابيّة ، وهي تعتقد ان سلطة علوية انزلت بها العقاب حيناً ولكنها لن تتخلى عنها . فكيف يقبل بنو يهوذا الذلّ والهوان وهم على اعتقاد صميم انهم الشعب المختار ، وان ربهم لن يتخلى عنهم ابدًا ، وقد قطع على نفسه العهود . وعلامَ يدلّ توقف المصريين عن نجدتهم ؟ أليس من مصلحة مصر ان تكون لهم عوناً ؟ فان لم تتمكن من ذلك هذه المرّة افلا تنجدهم في غيرها ؟ وكيف لا يتحمس الشعب للاخذ بالثأر ، وقد رأى ما جرى بسطوة الأشوريين وكيف زالت بسرعة عجائبية ؟ خاصة وان المنفيين كانوا على صلة دائمة بهم ينذرونهم دائماً بقرب العودة الى البلاد ويشجعونهم ضد الكلدان . وكان جميع انبياء يهوذا يبشرونهم بقرب الفرج ويقوّون عزائمهم . فعبثاً حاول ارميا ان يردعهم عن ذاك الغرور ويقنعهم ان الضربة

ستكون هائلة اذا صدرت منهم اقل بادرة. وكان ارميا يكتب للمنفيين: «ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا من ثمرها . اتخذوا نساء ولدوا بنين وبنات . . . واكثروا هناك ولا تقلوا . واطلبوا سلام المدينة التي اجليتكم اليها ، وصلوا من اجلها الى الربّ فانه بسلامها يكون لكم سلام» (ارميا ٢٩ : ٥و٦و٧)

وكان يصيح بالشعب الباقي في اورشليم: « والآن قد جعلت جميع هذه الاراضي في يد نبوكدرصر ملك بابل . . . والامة والمملكة التي لا تتعبد لنبوكدرصر ملك بابل وكل من لا يجعل عنقه تحت نير ملك بابل فاني افتقد تلك الامة بالسيف والجوع والوباء » (ارميا ٢٧ : ٦ و ٨)

وكيف لا يشكّ الشعب في صدق ارميا ، وهم يرونه يدافع عن الكلدان هذا الدفاع ؟ والشعب دائماً عدوّ مصلحته لا يخضع الا لمن يشجعه في غروره . فساء ظنه في ارميا . وكاد مراراً يفتك به ، وكم تمنى ذلك من عانده من الانبياء ، وكم من مرة حرضوا الشعب على قتله !

وقد تأثر صدقيا من حماس شعبه وجعل يميل لارضائه ، ولو كان صنيعة ملك بابل . لانه صعب على المرء ان يظن منه الشعب خيانة وطنه لمصالح شخصية . ولكن الملك صدقيا كان يدعو اليه ارميا النبي سراً ويرسل اليه من يستشيره عن الاحوال وعن الخطة السياسية الواجب اتباعها . وقد قال له ارميا يوماً بصراحة: « انك ستُجعل في يد ملك بابل » (ارميا ٢٧ : ١٦)

نبوكدرصر ينكب اورشليم للمرة الثانية

ومـا زال الفرعون المصري ينفخ روح الثورة في البلاد السورية حتى قام القسم الاكبر منها على الكلدان . وكان نبوكدرصر قد تبوأ عرش بابل فحشد جيشاً عرمرماً وحمل به على سورية . وعند وصوله الى ربله ، عسكر فيها حيناً ليستطلع اخبار الثورة وهو حيران في اي الشعوب يهاجم اولاً ، وقد رأى انه يحسن به ان يبدأ بضرب الثورة في قلبها، وما قلبها الا اورشليم، فاذا استولى عليها تمكن من التوغل جنوباً لقطع المواصلات بين مصر وحلفائها من الشعوب القاطنة شرقي الاردن ، ومن الفينيقيين واهل مملكة صور.

فما صحّت له العزيمة الا قام بجيوشه يرمي نطاق الحصار حول اورشليم وأهم بلدان يهوذا . وقد دافع اهل اورشليم عن مدينتهم دفاع الابطال . ولكنهم لم يتمكنوا من منع الحصار وخرق نطاقه . وكان ارميا يلحّ دائماً على الشعب بالتسليم للكلدان حتى نفرت منه الكهنة والانبياء. وازداد الظنّ بخيانته . وفي خلال حصار الكلدان لاورشليم ارسل صدقيا يطلب من ملك مصر ان ابريس يبرّ بوعوده ويعطيه « خيلاً وشعباً كثيرين » (حزقيال ١٧ : ١٥) . ولبى ملك مصر طلبه ، فدرى نبوكدرصر بمجيء الجيش المصري ورفع الحصار حيناً عن اورشليم . فانتهز ارميا الفرصة للخروج من اورشليم ، وبث دعوته في بلاد بنيامين . ولكن حرس باب المدينة ظنوه خارجاً لمخابرة الكلدان فقبضوا عليه وزجّوه في السجن ، ولم ينجُ من العذاب الا بواسطة الملك صدقيا بذاته . اذ انتشله من سجنه وامر ان تطلق له حرية الاقامة في ساحة السجن ، وامر له بالطعام في اشد ايام المجاعة .

وعاد الكلدان الى حصار اورشليم يضيقون عليها ويدكّون حصونها ، فاستشار صدقيا ارميا سرًّا وسأله رأيه في التسليم فاجابه ارميا : « ان خرجت الى رؤساء ملك بابل تحيا نفسك وهذه المدينة لا تحرق بالنار وانت واهل بيتك تحيون » . فقال الملك صدقيا لارميا : « اني اخاف من اليهود الذين هربوا الى الكلدانيين ان اجعل في ايديهم فيسخروا مني » (ارميا ٣٨ : ١٧ و ١٩)

وكان ارميا يقول للشعب : « ان قتلتم جميع جيش الكلدانيين الذين يحاربونكم وبقي منهم رجال قد طعنوا هؤلاء يقومون كل واحد في خبائه ويحرقون هذه المدينة بالنار .

« ان هذه المدينة ستُجعل في ايدي جيش ملك بابل فيأخذها فقال الرؤساء للملك ليقتل هذا الرجل فانه انما يرخي ايدي رجال القتال الباقين في هذه المدينة وايدي جميع الشعب » (ارميا ٣٨ : ٣ و ٤)

وبعد سنة ونصف من ابتداء الحصار « فتحت المدينة ودخل كل رؤساء ملك بابل ... فلما رآهم صدقيا ملك يهوذا وجميع رجال الحرب هربوا وخرجوا من المدينة ليلاً ... فجرى جيش الكلدانيين على اثرهم فادركوا صدقيا في

صحراء اريحا فاخذوه واصعدوه الى نبوكدرصر ملك بابل في ربله بارض حماة، فتلا عليه القضاء . وذبح ملك بابل بني صدقيا في ربله على عينيه وذبح ملك بابل جميع اشراف يهوذا . وقلع عيني صدقيا واوثقه بسلسلتين من نحاس ليجيء به الى بابل . واحرق الكلدانيون بيت الملك وبيوت الشعب بالنار وهدموا اسوار اورشليم . وسائر الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربين الذين هربوا اليه وسائر الشعب الذين بقوا اجلاهم نبوزرادان رئيس الشرط الى بابل . اما شعب المساكين ممن لم يكن لهم شيء فتركهم ... في ارض يهوذا واعطاهم كروماً وحقولاً في ذلك اليوم.» (ارميا ٣٩)

هذا ما كان من امر اورشليم وقد اصبحت في يد الكلدان قرية لا يبالى بها ولا يخشى منها . ولكن انّى لشعبها الحيّ ان يفقد امله بالنصرة وهو دائماً يؤمل بالفرج ? وكان ارميا يعده به اذ يقول : «لا تخف يا عبدي يعقوب يقول الرب فاني معك وسافني جميع الامم التي دحرتك اليها واما انت فلا افنيك بل اؤدبك بالانصاف.» (ارميا ٤٧ : ٢٨) او يقول «اسرائيل غنم مشتتة قد طردته الاسود . اولها ملك اشور افترسه واخرها نبوكدرصر هشم عظامه . لذلك هاءنذا افتقد ملك بابل وارضه كما افتقدت ملك اشور واعيد اسرائيل الى مرتعه فيرعى في الكرمل وباشان وتشبع نفسه في جبل افرائيم وجلعاد.» (ارميا ٥٠ : ١٧ — ٢٠)

ويقول ايضاً «ان بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر كل الارض . من خمرها شربت الامم ولذلك تدلهت الامم . بغتة سقطت بابل وحطمت . ولولوا عليها . خذوا بلساناً لوجعها لعلها تشفى . قد عالجنا بابل فلم تشفَ . اهجروها ولنذهب كل واحد الى ارضه ... الرب ابدى برّنا فهلموا نخبر في صهيون بعمل الربّ الهنا.» (ارميا ٥١ : ٧—١٠)

صدقت ببابل اقوال ارميا اذ انها دمّرت وهجرت ولم تزل ارضها مهجورة، ومركزها مجهولاً حتى ايامنا ، حيث اعادتها الحفريات الى حيّز الوجود . ولكن فلنعد بالذكر الى سهول البقاع ، ولنلق نظرة على الآثار التي تركها نبوكدرصر في ضواحي ربله عند مروره بها . (للبحث صلة)

في قداسة الكنيسة

للاب ارمند اودين ، احد كهنة رهبنة قلب يسوع الاقدس

١ ما هي القداسة الواجب ان تمتاز بها كنيسة المسيح ؟ – ٢ هل توجد هذه القداسة ، في الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ؟ – ٣ وجودها وسطوعها في الكثلكة. – ٤ ردّ الاعتراضات .

١

ما هي القداسة التي يجب ان تمتاز بها كنيسة المسيح ؟

من اشرف واهم العلامات التي اراد الله ان تمتاز بها الكنيسة الحقيقية ، عن كل ما سواها ، القداسة ؛ لان الكنيسة ليست الا جماعة اقيمت لتكميل عمل فداء البشر ، وهو العمل الذي نزل ابن الله من السماء لاجله ، وتجسد وبذل ذاته ضحيّة عنه ، وبالتالي قد اقيمت لتعليم الناس الصراط الذي يوصلهم الى الخلاص ، ولتطهير انفسهم من نجاسات الخطايا ، ولصيرورتهم اعضاء حيةً لذلك الجسد السرّي ، الذي رأسه هو المسيح . وكيف تقدر الكنيسة على تحصيل تلك الغايات ، ان لم يكن الروح القدس حاضرًا فيها ، ومزاولًا قوته بتلك المواهب الالهية والمفاعيل العجيبة التي نعبّر عنها بقولنا : ان الكنيسة هي مقدسة . فان هذه العبارة تدل على شيء مفرز من كل ما هو دنس وذليل ، وعلى شيء متحد بالله اتحادًا وثيقًا وجزيل الافادة لتمجيده تعالى ، ولحثّ الناس على محبته وعبادته . فلا شكّ اذن في ان المسيح اراد ان تكون كنيسته مقدسةً ، وهذا ما يؤكده رسوله حيث يقول : « ان المسيح احب كنيسته ، وبذل نفسه عنها ، ليقدسها ويطهرها ، فتكون له كنيسةً مجيدةً ، لا عيب فيها ولا دنس ، بل هي مقدسة وجميلة* » (افس ٥ : ٢٥–٢٧)

ونعلم ان المخلص نفسه ، في اثناء صلاته لاجل تلاميذه ، بعد العشاء السرّي ، سأل اباه السماوي ان يقدّسهم ويصونهم من كل شرّ ، ويجعلهم واحدًا في محبته (يو : ١٧) واعتبر ايضًا ما قاله لهم قبل ان يفارقهم بصعوده

*) صحح عبارته ، وعني بنشره القس اسطفان فرحات اللبناني .

الى السماء ؛ ها انا معكم على الدوام ، الى انقضاء العالم . فان هذه الكلمات تتضمن وعداً منه عزّ وجل ، بان يعطي كنيسته ، في كل زمان ، جميع المواهب الروحية اللازمة لها ، لتقوم بمهمتها . فتبلغ البشر الى الخلاص الابدي. واكثر هذه المواهب ضرورةً هي القداسة . فان الله اذاً يريد ارادةً صريحة ومطلقة ، ان تتلألأ كنيسته دائماً ببهاء القداسة .

واذن ما هي هذه القداسة التي لا يجوز ان تخلو من جمالها بيعة الله المسيح؟ هل نتصوّرها منافيةً لكل عيب في المؤمنين ، حتى يصبحوا اشبه بالملائكة منهم بالبشر ؟ كلّا ، فان وجود جماعة كهذه على الارض ، لا يمكن الا باحدى المعجزات العظيمة التي يقدر الله على اجرائها . ولم يعد الله بمثل هذه الاعجوبة ، بل ولم تكن لازمة لبلوغ غاية الكنيسة . وتاريخها يشهد بان اعضاءها ، لم يكونوا قط كلهم قديسين ، فتمّ فيها بذلك ما تنبأ به مؤسسها الالهي ، بمثل الشبكة الملقاة في البحر ، والجامعة بين جيّد السمك ورديئه (متى ١٣ : ٤٧–٤٩) وبمثل العذارى اللواتي كان بعضهنّ حكيمات ، والبعض الآخر جاهلات (متى ٢٥ : ١–١٣) ورعاة الكنيسة انفسهم لم يزدانوا جميعاً بالقداسة ، بل سمح الله بان تكون عيوب وشكوك في كل مراتب السلطة الكنسية ، كما سمح بسقوط احد الاثني عشر رسولاً .

لكنّ القداسة الكافية لتمييز كنيسة المسيح هي التي يبين لنا وجودها في جماعة النصارى الاولين كتابُ اعمال الرسل ؛ ونراها قائمة بثلاث صفات : اولاها : محافظة الرسل على تعليم يسوع المسيح ، وسعيهم في اقتياد الجميع الى قبوله واتباعه . ثانيتها : ازدهار اجمل الفضائل واعجبها في عدد كثير من المؤمنين ، وهذا بتأثير كلام الرسل في قلوبهم . ثالثها : اجراء الله ما كان لازماً من المعجزات تأييد كلام الرسل ، واعلان صحة تعليمهم . فحيثما ظهرت لنا هذا المحامد متقارنةً في اي جماعة كانت ، وجب علينا القول : ان هذه الجماعة هي مقدسة ، اي انه تعالى يعضدها ويعمل فيها ، وانها تفيد الناس وتعينهم على ان يصيروا صدّيقين في هذه الدنيا ، ومغبوطين في الاخرى . هكذا نرى في كتب الآباء الاجلاء انهم فهموا قداسة الكنيسة . فانهم برهنوا عليها تارة

يذكر تعليمها الذي لم يزل تعليم المسيح بعينه ، غير ممزوج بشيء من الآراء البشرية ، والاضاليل الوخيمة ؛ وطوراً بمديح ما يلمع في الكنيسة من فضائل الكثيرين من ابنائها على اختلاف ما عاشوا فيه من الازمنة والبلدان وسائر الظروف ؛ وحيناً بتبيان ما صنعه الله ، ولا ينفك عن صنعه ، من الآيات المتنوعة تأييداً لتعليم الكنيسة ، وتمجيداً لبعض بنيها ، الذين بلغ ايمانهم وطهارة سيرتهم اسمى درجة . فاذاً ، ان هذه الادلة الثلاثة هي التي نعدها شروطاً لازمة ليجوز القول عن جماعة انها مقدسة ، وبالتالي نطلب ان نشاهدها محققة في المجتمع الذي يعترف بكونه كنيسة المسيح الحقيقية .

٢

هل توجد القداسة في الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ؟

قد مرّ بك ان القداسة ، التي يسوغ ان نتطلبها في كنيسة المسيح ، تقوم بتلك الصفات الثلاث المذكورة ، وذلك تمييزاً لها عن غيرها . فان كان الامر كذلك ، فايّ اثر للقداسة يظهر لنا في الكنائس التي انفصلت عن الكثلكة ؟

على ان بعضها قد غيّرت تعليم المسيح ، وبدلته ، او خلطته بآراء جديدة ، صار بها مذهبها مختلفاً جداً عما اعتقدته كنيسة القرون الاولى . وهذا العيب يظهر خاصةً في الشيع البروتستانية التي تأسست على مبدأ حرية الفرد في تأويل الاسفار الالهية ، مع رفض التقليد والسلطة الكنسية . ولا يخفى على احد ما اتى به هذا المبدأ من الثمار الوخيمة . فان متبعيه انقسموا الى بدع لا يُحصى عددها ، وانتهى بعضهم الى انكار اهمّ الحقائق الدينية ، او الارتياب فيها . فواضح اذن ان الكنائس البروتستانية لم تحافظ على تعليم المسيح ، واذن فليست مقدسة .

غير ان هذا الحكم ، لا يقع على الكنائس الشرقية التي تسمى ارثوذكسية وتفتخر بثباتها في الايمان بكل ما اعتقده مؤمنو الاجيال الاولى . ولكن بأي طريقة نرى تعليم المسيح محفوظاً في تلك الكنائس ؟ هل يدرسه كهنتها حتى يتضلعوا منه فيتمكنوا من تهذيب الشعب فيه ؟ او هل يعتني رعاتها بصيانة رعيتهم من ضرر الجهل الديني ؟ وهل يثابر خوارنتها على ارشاد بنيهم

الروحيين بالمواعظ الخلاصية ? وهل يقوم فيها بعض اصحاب العلم والغيرة لمناصبة التعاليم الفاسدة التي يسمى البروتستان والزنادقة في نشرها، محاولين تقويض اركان الايمان المسيحي ? فليجاوب عن هـذه الاسئلة المطلعون على حقيقة احوال الكنائس الشرقية . ونخاف جدًّا ان كل قارئ ملمّ بما يبيّنه التاريخ ، وما يعرضه على انظارنا الاختبار اليومي ، يُضطر الى الاعتراف بان ذلك كله ينقص الكنائس المنفصلة نقصاً يُرثى لـه جدّ رثاء . فليس التعليم الالهي اذاً محفوظاً فيها ، الا كحرف مهمل يُكتب ولا يُقرأ .

هذا ما يجب قوله ، بالرغم من اسفنا الشديد ، في الصفة الاولى المستلزَمة، لتحسب احدى الكنائس مقدسة . وماذا نقول الآن في الصفة الثانية ، وهي سطوع الفضائل العجيبة في قوم من ابناء تلك الكنيسة التي تدعي بكون مؤسسها هو المسيح .وهنا ربّ معترض يزعم ان البحث متعذر في هذا الموضوع، لان الفضيلة تستتر في بواطن النفس ، فلا يقدّر درجتها سوى الله الذي يبدو له كل خفي فنجيب مقرّين بعجزنا — في الغالب — عن تقدير درجات الفضيلة ، فربما ارتقى منها الى سموّ فائق من لم يلتفت احد اليه . ولكن للفضيلة علامات ، كما للرذيلة ، تكفي لتمكننا من التمييز بين اصحابها ، ومن معرفة ما اذا كان في جماعة ما عدد كبير ممن يتلألأ فيهم كال التقوى وطهارة السيرة . فاذا استفهمنا التاريخ عن احوال الكنائس المنفصلة ، فبماذا يجيبنا ? وكم قديساً ظهر فيها ، منذ آن انفصالها ? نعم ان القديسين كثروا قديماً في الاقطار التي تسود فيها اليوم المذاهب الغير الكاثوليكية ، فيجوز للانكليز مثلاً ان يفتخروا باجواق النسّاك التي ازهرت في جزيرتهم حين استحقت ان تلقب بجزيرة القديسين .وكذلك للالمان ان يذكروا ويعظموا نموذجات القداسة العجيبة التي ازدانت بها بلادهم ، في القرون الوسطى . واكبر فخر ايضاً للشرقيين ، ان يكونوا ابناء تلك البلاد الشريفة التي وُلد فيها قدوس القديسين ، وامه الكلية الطهارة ، ورسله ، وغيرهم عدد كبير من الشهداء ، ومعلمي الكنيسة والرهبان والنسّاك الذين طار صيت محامدهم في كل العالم ، واعتادت كنائس الشرق والغرب ان تكرمهم وتستشفعهم ، ولم تزل فيها كتب اولئك الآباء

الشرقيين محفوظة ومعتبرة جداً ، فتروق المكبين على مطالعة الدروس اللاهوتية العالية ، وهم آباؤنا في الايمان الذين خلدوا مجد اسمائهم بما جاهدوا به من التيقظ والتجلد ضد مساعي المبتدعين ، فما اجزل الشرف واحسن البهاء اللذين اكسبك اياهما قديسوكِ القدماء ايتها الكنيسة الشرقية ! ان هذا المتاف لمو بفم كل من يراجع تاريخ تلك الازمنة البعيدة سواء كان شرقياً او غربياً. غير ان هذا التعجب يقترن بامرّ التأسف لدى مقابلتنا بين تلك الحوادث الماضية ، وبين الحالة الحاضرة . فاننا نرى الآن العقم حيث كان الخصب ، والجمود حيث كانت الحياة . فتزر عدد القديسين هناك ، وقد كانوا كثيرين ، في القرون الاولى . فمن له ان يتأمل هذا التغير الغريب دون ان يعتريه الحزن والنم ! وكأني به يسأل نفسه : لماذا ضعفت الحياة في تلك الكنائس التي ظهر فيها قديماً كمال النضارة ، وملء النضارة ، وكيف اصبحتِ ايتها الكنيسة اليونانية ، قاصرةً عن توليد قديسين كثيرين ، ينضمون الى صفوف ابنائك الذين أعلوا شأنك في العصور الاولى ؟ فاي متى يا ترى ابتدأت حالة العقم هذه المكدرة ؟ أليس في أوان الانشقاق ؟ بلى ! ، لان اليوم الذي ادعت فيه الكنائس الشرقية باستقلالها عن الكرسي البطرسي ، انما هو بدء تضاؤل القداسة ، وقد كان ابطالها من قبل كثيرين ، ككثرة الثار الجميلة على غصون الاشجار.

وماذا نقول الآن ، اذا أجرينا الكلام على الاسرار المقدسة التي وضعها يسوع المسيح في كنيسته كاقنية روحية تجري بها نعمه الى انفس المؤمنين ؟ اننا نلاحظ ، من هذا الوجه ايضاً ، فرقاً عظيماً بين الكنائس الشرقية وشيع البروتستان. فانه من اشنع اضاليل هذه الجماعات أنها نبذت اغلب تلك الاسرار الجليلة ، وبالجهد حافظت على السرّ الذي هو اشد مما سواه ضرورةً للخلاص الابدي ، اعني به العماد . ويظهر ايضاً ان قوماً من البروتستان قد غيروا طريقة العماد تغييراً يحول دون صحته.

فلله الحمد والشكر على انه لم يسمح بان يصيب مثل ذلك الكنائس الشرقية . وخاصةً الكنيسة اليونانية ، التي لم يرتب احد حتى اليوم في صحة

عمادها ، وكهنوتها ، وباقي اسرارها . ولكن هل يكفي وجود هذه الاسرار ، في جماعة ، ليسوغ القول ، انها جماعة مقدسة ؟ كلا ! لان الاسرار وان كانت دائماً بذاتها أدوات الهية ، قادرة على تقديس النفوس ، فانها مع ذلك لا تقدس سوى من يقتبلها بحسن الاستعداد . ومن ذا الذي يحصل على هذا الاستعداد الجيد الا من تعلم ان يُحيي الايمان في نفسه ، وان يطهّر قلبه بالندامة . ولا يخفى ان هذا التأهب ضروري ، خصوصاً لقبول سر التوبة . فان حلّة الكاهن ، لا تفيد شيئاً من لم يحرّك نفسه على بغض جميع خطاياه المميتة ، وكيف يُرجى ان يستعدّ لذلك من لم يتعلم شيئاً من المبادئ الدينية ، وهو لم يُلقَّ عليه قط ارشاد روحي ، فـلا يدري ما هي الندامة ، ولا يخطر في باله وجوبها ، ولم يتعوّد الا تلاوة بعض نوافل روحية وعبادات ظاهرة ، كرسم اشارة الصليب ، واحناء الرأس ، وما اشبه ذلك . فاي ثمرة يمكن ان يجنيها هذا المسكين من اعترافه ، ومن حلّة الكاهن ؟ واحسرتاه ! ! ان هذا الجهل والعمى لها حالة اغلب المنفصلين ، فنتيجة ذلك واضحة بقدر كونها مؤلمة ومزعجة . اي ان ما يقبلونه من الاسرار لا يكاد ينفع لتقديس انفسهم ، ولخلاصهم الابدي .

بقي ان نتكلم عن المعجزات في الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ، فهل يجري فيها شيء من ذلك ، وتاريخها ساكت عن هذا الامر ؟ اللهم الا بعض حوادث خارقة العادة ، قد نُشر خبرهـا . ولا ننكر احتمال صحتها الا اننا نتمنى ان يُجرى ، لكل واحد منها ، تحقيق مـدقَّق . وان ثبت ان هناك آيات حقيقية ، نقول ان الله صنعهـا جزاء لفضل بعض الذين يعبدونه في تلك الكنائس بسلامة النية ، كما نزعم انها حال كثيرين . ولكن هـل تكفي حوادث قلائل كهذه اعلاناً لقداسة مذهب من تمت على يدهم ؟ كلا . فانه سبحانه وتعـالى ، يوزع مواهب نعمه كيفما شاء وحيثما اراد ، فلا بأس اذن في ان يغدق منها شيئاً على بعض خدامه المستقيمي النيـة ، وان كانت الكنيسة التي ينتمون اليها منفصلة عن تلك التي انشأها يسوع المسيح ، وهم بذلك غير دارين .

(له صلة)

أمالي السنة : ٨

كلمة « توراة »

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

٢

ورود « توراة » في الكتب والمعاجم العصرية

قال الاب شيخو اليسوعي : [1] « واخصّ ما عرفه العرب في الجاهلية من الكتب المنزلة « التوراة والزبور والانجيل » فقالوا في التوراة التورية ايضاً ؛ وهي كتب موسى الخمسة اي : التكوين ، والخروج ، والعدد ، والاحبار ، وتثنية الاشتراع . « ثم اطلقوها على اسفار العهد القديم اجمالاً .» وقد وردت الكلمة في الشعر القديم ، قال السموأل :

وبقايا الاسباط اسباط يعقو ب دارس « التوراة » والتابوت .

ا) المعاجم المطلقة « توراة » على اسفار موسى « لا غير »

1 Freytag, *Lex. ar.-lat.*

« التورية التوراة = *Lex mosaica.* »

2 Lane, *VII-VIII*; 3052.

« التوراة = *the book of the law revealed to Moses.* »[2]

ب) المعاجم المطلقة « توراة » على اسفار موسى ، ثم على العهد القديم كله

١ عبد الله البستاني : « البستان » :

« التوراة : ويقال التورية : اسفار موسى الخمسة . . . وقد اطلق على العهد القديم كله . »

---

١) الاب شيخو : النصرانية وآدابها ، ص ١٨٣ وما يليها .

٢) غير خاف على اديب ان هذا المعجم محسوبة اشهر واوسع المعاجم العربية . فلو كانت « توراة » تطلق على شيء آخر في هذه الاسفار ، لكان لا محالة ذكره .

٢ الشرتوني : « اقرب الموارد » :

« التوراة : اسفار موسى الخمسة . . . وتطلق على العهد القديم كله . »

٣ الاب لويس معلوف اليسوعي : « المنجد » :

« التوراة او التورية : اسفار موسى الخمسة — العهد القديم كله . »

ت) المعاجم المطلقة « توراة » على اسفار موسى — والعهد القديم كله — والعهدين معاً

١ بطرس البستاني : « محيط المحيط » :

« التوراة او التورية : اسفار موسى الخمسة . تطلق على العهد القديم كله

« وربما » (اذن في الامر شك) اطلقت على مجموع العهدين . » (١

٢ الاب بلو اليسوعي : « الفرائد الدرية » :

« التوراة او التورية = *Loi mosaïque, Bible* »

ث) المعاجم الفرنسية - العربية ، المؤدّية كلمة *Bible* « بالكتاب المقدس » ولا « بالتوراة »

١ E. Bocthor, *Dict. fran.-arabe*:

« الكتاب ، العهد العتيق والجديد = *Bible* »

٢ محمد النجاري : « معجم فرنسي - عربي » :

« الكتاب المقدس = *Bible* »

---

١) ليس في حوزتنا « دائرة المعارف » للبستاني، لنتبين ما جاء فيها في صدد « توراة ».
[المشرق] – راجعنا الدائرة المذكورة فاذا فيها ما يلي بعنوان : « توراة *Pentateuque* » « لفظة عبرانية معناها شريعة او ناموس والمراد بها في تقسيم اسفار الكتاب المقدس اسفار موسى الخمسة ويسمّيها اليهود بالناموس او ناموس موسى . وهي سفر التكوين وسفر التثنية وقد مرّ ذكرهما وسفر الخروج وسفر اللاويين او الاحبار وسفر العدد وسيذكر كل منها في بابه واسم هذه الاسفار عند الافرنج مأخوذ من لفظة يونانية مركبة معناها الاسفار الخمسة . وربما استعمل النصارى التوراة للدلالة على مجموع العهد القديم وعلى العهدين ايضاً من باب تسمية الكل باسم البعض . » ثم يتابع الكاتب الكلام، على ان التوراة اسفار موسى وحدها ، لا الكتاب المقدس بكامله كما هو واضح في شرحه وفي خاتمته اذ يقول : « واما الكتاب المقدس عموماً فيأتي الكلام عنه في باب الكاف بالاستيفاء » (دائرة المعارف المجلد ٦ ، الصفحة ٢٦٤)

ج) المعاجم الفرنسية – العربية ، المؤدية كلمة *Bible* « بالكتاب المقدس ، والتوراة »

١ الاب بلو اليسوعي: *Dict. fr.-arab.* :

« التوراة ، الكتاب المقدس = *Bible* »

٢ يوسف حبيش : *Dict. fr.-ar.* :

« التوراة ، الكتاب المقدس = *Bible* »

٣ : Gosselin, *Dic. fr.-ar.*

« التوراة ، الكتاب المقدس = *Bible* »

« توراة » في استعمال المبشرين البروتستانت

نورد مثالًا لذلك ما جاء في كتاب « ميزان الحق » للدكتور فاندر ص ٥٦ : « ينقسم الكتاب المقدس في الغالب الى قسمين : العهد القديم ، ويتضمن الاسفار المقدسة القانونية عند الامة اليهودية ... والعهد الجديد ، وقد كتب باللغة اليونانية . اما اليهود فلا يؤمنون الا بواحد منهما . اما نحن المسيحيين فنؤمن بالعهدين كليهما . ولكن القرآن يشير الى الاسفار المقدسة جميعها بكتاب واحد وهو الكتاب المقدس ، مع انه يذكر له ثلاثة اقسام وهي « التوراة » والزبور والانجيل .

ويقسم اليهود اسفارهم او كتبهم الى ثلاثة اقسام وهي : الناموس والانبياء والمزامير ، كما يظهر من بشارة لوقا (٢٤ : ٤٤) وهذا التقسيم يرجع عهده الى سنة ١٣٠ ق.م. (وفي الحاشية : انظر مقدمة يشوع بن سيراخ لمجموعة امثال جده)[1] وفي الوقت الحاضر يسمي اليهود القسم الثالث « الصحف » وبالنسبة لكونها تبتدئ بالمزامير يدعوها القرآن والانجيل « الزبور » .

---

١) دونك ما جاء في مقدمة ابن سيراخ « بل ان الشريعة والنبوات، وسائر الاسفار...» وهذا هو التقسيم الذي يرقى الى ١٣٠ سنة ق.م. اما التقسيم الآخر الوارد فيه ذكر المزامير ، فهو من العهد الجديد .

ويدعو القرآن القسم الاول « توراة » هي معدولة من الكلمة العبرانية مع تغير طفيف في اللفظ.« وقد يطلق المسلمون » هذا الاسم على الكتاب المقدس كله بالنسبة الى كونه يبتدئ بالتوراة »

***

فبعد سرد هذه الشواهد والامثلة العديدة المختلفة المصادر[1] ، يسوغ لنا ان نستخرج النتائج التالية :

١) لم يطلق اليهود اسم « التوراة » الا على كتب موسى الخمسة . وقد وردت بهذا المعنى المحصور ، لا بغيره ، في العهدين ، القديم والجديد . والاسم الشامل كل الكتب المقدسة عندهم هو *Hassefârim* اي الاسفار ، والعنوان الرسمي للمجموعة كلها هو ، ليس اسم واحد ، بل اسماء الاقسام المذكورة : « *Ketûbim, Nebiyim, Tôrâh* » ، كما يرى ذلك في اية نسخة من العهد القديم باللغة العبرية . وفي الاستعمال ينوب عنها الكلمة المركبة من الحروف الاولى من هذه الاقسام الثلاثة وهي (תנך *Tanaḥ*,) واما في العهد الجديد ، فاسمها العام ليس « التوراة » بل « الكتب » ، او الكتب المقدسة . »

٢) عند اليونان وعند اللاتين ، لم يأت لفظ « *Pentateuchos* » او « *Pentateuchus* » الا مقابلاً لكلمة *Tôrâh* ، اي بمعنى اسفار موسى الخمسة لا غير . واما الاسم الشامل العهدين عند الغربيين ، قديماً وحديثاً ، فهو « *Biblia* » .

٣) الظاهر من كلام الاب شيخو وغيره ان كلمة « توراة » اطلقت عند العرب قبل الاسلام على « العهد القديم كله » . بيد ان شعر السموأل الذي استشهد به ، ان كان حقيقة من قبل الاسلام ، لا يثبت من ذلك شيئاً البتة ، لانه لا يُعرف منه ما معنى التوراة ولا ما تحويه .

٤) الناجم من نصوص مفسّري القرآن ان كلمة « الكتاب » الواردة كثيراً في المصحف هي ذات معانٍ مختلفة ، اولها : الوحي او التنزيل او كل

---

١) وقد اكثرنا منها تعمّداً ، لدفع تقوّل من يتّهمنا باننا « ننكر الامور ولا نستشهد عالماً ولا كتاباً ولا ولا ولا »

سفر سماوي . ثانيا : التوراة وحدها ، اي كتاب موسى . ثالثها : الانجيل بمفرده ، اي كتاب عيسى ليس الّا . رابعها : التوراة والانجيل ، اي الكتابان المذكوران وحدهما دون افتراض ان كلًّا منها يحوي عدة اسفار من العهدين . خامسها : الزبور ، اي كتاب داود لا غير . سادسها : القرآن ، اي كتاب محمد دون سواه .

٥) من قرائن آيات القرآن يُستدلّ على ان « التوراة » مطلقة على كتاب واحد قائم بذاته قد انزل على موسى ، كما انزل الانجيل على عيسى ، والزبور على داود . ولا يظهر منه انها تشمل اسفار العهد القديم ، او العهدين معاً . « فالكتاب » يشمل « التوراة » كما يشمل الكل جميع الاجزاء ، اما « التوراة » فلا تشمل « الكتاب » لانها ليست الا جزءا من اجزائه .

٦) في عرف علماء المسلمين لا تأتي « التوراة » الا بمعنى اسفار موسى الخمسة ، كما استبان ذلك من المنقولات عن الشهرستاني وابي الفداء والقلقشندي ، ولاسيما من تفسير مولوي محمد علي الهندي .

٧) الناجم عن تحقيقات المستشرقين المتفرّغين للاسلاميات ان ابا القاسم لم يقف قط على الكتب المنزّلة ، لا اليهودية ولا المسيحية . والذي عرفه من اسماء بعضها ومضمونها لم يتوصّل اليه الا بالسماع عن طريق الحكاية والرواية المأثورة عند العامة . وهذا سبّب الاختلافات والمناقضات التي في المصحف في شأن بعض الامور والحوادث التاريخية المنقولة عن العهدين القديم والحديث . ومن رأي هولاء المحققين ان « التوراة » في القرآن لا تعني الا ما يقابل « *Tôrâh* او *Pentateuque* » اي كتب موسى الخمسة ، ولا العهد القديم كله ، وبأولى حجة لا العهدين معاً ، او الكتاب المقدس ؛ ومن هنا تنكشف لك قيمة الآراء الباقية المدعية ان التوراة تعمّ العهد القديم او العهدين معاً .

٨) وعليه نقول ان المبشرين البروتستانت قد افرطوا في التخريج طبقاً لمآربهم ، اذ نسبوا الى ابي ابراهيم وكتابه واتباعه ما لم يقولوا به قط ، كما رأيت مما تقدم . هذا ولو فرض ان المسلمين — كما يدعي صاحب ميزان الحقّ — « قد يطلقون » (و« قد » حرف تقليل) ، كلمة « توراة » على الكتاب المقدس

كله ، فهل ينجم عن ذلك تحتم اتخاذ كلامهم دستورًا لعمل المسيحيين ؟ ومتى يا ترى كان المسلمون للنصارى اساتذة في علم من العلوم ، ولاسيما في علوم دينهم ؟ او ليس بالعكس ان المسيحيين السريان ، شرقيّيهم وغربيّيهم ، كانوا قديمًا وحديثًا ، اساتذة ومرشدين للمحمديين ؟

٩) اما المعاجم الحديثة التي اوردنا نصوصها ، دون خشية ولا مواربة ، فنقول فيها : ان التي لا تطلق « التوراة » الّا على كتب موسى الخمسة ، ولا تؤدي « *Bible* » الا « بالكتاب المقدس » قد اصابت كبد الصواب ، وتابعت كبار المحققين من شرقيين وغربيين . واما التي سنّت بها العهد القديم كله ، فقد توسعت في القضية توسعاً « لا يظهر انه مدعم ببرهان دامغ » . واما التي شملت بها العهدين معاً ، فنكبر الظن بانها قد استندت الى ما جرى على السن العامة في سورية ، وغيرها من البلاد ، ولاسيا على ألسن البروتستانت ، كالسبتيّين الذين يهتمون بالعهد القديم اهتماماً ينسيهم الجديد .

١٠) لكن ما يقضي بالعجب ، ويدلّك على ان هذا التوسع مفرط فيه هو انه ، عند كل المسيحيين سواء كانوا من الكاثوليك ، ام من البروتستانت ، ام من الارثوذكس وغيرهم ، لا نظن انك تجد مجموعةً من اسفار العهدين محلاةً بعنوان « التوراة » عوض « الكتاب المقدس » . هذه المخازن البروتستانتية التي يباع فيها الكتاب العزيز ، المطبوع بلغات شتى ، فانك لا ترى فيها على واحدة من نسخه ، باي لغة كانت ، عنوان « التوراة » ، بل على كل منها « الكتاب المقدس » . كذلك قل عن الترجمات العربية الحديثة ، من مثل اليسوعية او الدومنيكية او غيرهما ، فانها جميعها ، على اختلاف طبعاتها وحجمها ، ليس لها عنوان « التوراة » ، بل « الكتاب المقدس » ؛ مع انه كان الاوفق والاسهل ان تعنوَن « بالتوراة » ، لكونها كلمة واحدة ، مفضلة على الكلمتين ؛ او فلا اقل من اننا كنا نرى العنوانين مستعملين دون فرق . لكن هذا لا وجود له ؛ ولماذا ؟ أليس لان « الكتاب المقدس » هو العنوان الرسمي المقبول . و « التوراة » كلمة عاميّة جرت على بعض الالسن ، ونقلتها طائفة من المعاجم دون تثبت ؟ وهل من معجم خالٍ من الكلام العامي ، غير المدقق

فيه ؟ [1].

بعد ان علمت كل هذه الحقائق ، ألقِ نظرةً على هذا القول الصادر « كعقيدة محدّدة » عن « كاتدراء العصمة الالسنية » في بغداد : « جاءت « التوراة » عند اليهود بمعنى اسفار موسى . « ثم اطلقت بعد ذلك على اسفار الانبياء وجميع الكتب المنزلة عندهم » (!!؟) ولما جاء النصارى (؟!) اطلقوها على اسفارهم (؟!) لانهم يعتبرون اسفار اليهود واسفارهم كتاباً واحداً مقسوماً الى عهدين قديم وجديد . وهذا رأي علماء المسلمين (!؟) وعلماء النصارى (؟ !) اذ عرّفوا التوراة بالكتاب ، والكتاب بالتوراة » (؟!)

فلك ايها القارئ اللبيب ، بعد المقابلة بين تحقيقات وتدقيقات العلماء التي بسطناها لك ، وبين هذا الكلام الابتر ، ان تبرز حكمك النزيه ، نابذاً الغثّ ، ضانّاً بالسمين [2]

---

1) من لا يدري ان اهل المعاجم ينقلون ، مرات ليست بقليلة ، بعضهم عن بعض ، دون كناية تدقيق . وهذا ما لا يزال يندّد به الاستاذ العلامة حضرة الاب انستاس ماری الكرملي الحاني ، صاحب مجلة لغة العرب . ومن اقواله المأثورة : ان واضع « محيط المحيط » قد نقل دون تروٍّ عن فريتاغ ؛ وان « اقرب الموارد » ما هو الّا نسخة مشوّهة عن « محيط المحيط » ؛ وان « البستان » نسخته الثانية الممسوخة ؛ وان جميع قواميس اليسوعيين ، والسوريين ، والمصريين مشحونة اغلاطاً ، فليست بجرية ان يستند اليها ، بل ان ترمى عرض الحائط !!! اللهمّ الّا . . « ذيل لسانه » او « معجمه الكبير الشهير » . لكن اين هو ؟ أفي عالم الانس ، ام في عالم الجن ؟ لا يأتيك بالجواب الا عفريت من عفاريتها .

2) هذا المقال مقالنا ؛ وقد رأيته ، كمألوف عادة هذه المجلة ، وعلى مثال سابقيه ، مصدّرًا باسمنا ، لا للافتخار ، بل لتحمل التبعة ؛ فهو اذن « وحده لا غيره » حريٌّ ، في صدد كلمة « توراة » ، بان يُعزى الينا . فلتفهم ذلك احدى نشرات الزوراء ، الطنونة ، المتشنّة ، البذيئة ؛ تلك التي جحدت الاصل الآرامي ، السرياني ، الماروني ، اللبناني النبيل ، معتدة شرفاً لها ان تكون مُلصقة باهل الإبل والدِمَن . لكن لله درّ ابي القاسم الآتي بهذا القول : « انا خلقناكم اطوارًا ! » وان هي اصرت على انكار « مارونية ولبنانية » صاحبها فهناك من يتحدّاها ان تثبت بالدليل التاريخي ، مبينة على صفحاتها للجمهور ان هذا الرجل « راسخ العرق في البدوية » ، وانه « اصيل ، لا دخيل الآباء في عراقنا . »

دلبتا

نبذة تاريخية

الخوري بطرس روفائيل

الفصل الخامس

كنائسها واوقافها (تابع)

٣ دير مار انطونيوس البدواني

في اسفل القرية ، في الناحية المسماة «الوادي» ، يرى الزائر ديرًا جديدًا مسقوفًا بالآجر للرهبانية الحلبية على اسم القديس انطونيوس البدواني ، وحوله املاك له من بيوت للشركاء بالمساقاة ، واراضي توت وفواكه وكروم واحراش. كان المكان المذكور في بدء الامر بقعة بائرة فاشتراها الخوري انطون الحاج (١ واصلحها وحرثها وغرس فيها توتًا ، وبنى بيتًا لتربية دود الحرير ، وبقربه حجرة صغيرة معقودة بالحجارة طولها اربعة اذرع ، جعلها معبدًا يقيم فيه الذبيحة الالهية عند الاقتضاء . ونصب على المذبح صورة القديس انطونيوس البدواني. ولما توفي سنة ١٨٢٧ ، أهمل ورثته المحلّ ولم يحفلوا به ، فخرب البيت واندثر ، ولم يبقَ قائمًا من البناء الّا الحجرة . ففي سنة ١٨٦١ ، استولى على امرأة موسى سركيس مخلوف المخاض وتعسرت ولادتها كل التعسر حتى يئس الحاضرون من خلاصها ، فلما رأتها والدتها في حالة الخطر اخذت تصلي وتتوسل الى الله بحرارة ان يمنّ على ابنتها بالشفاء ، واذ هي كذلك خطر ببالها الحجرة التي كانت معبدًا ، وكانت قريبة من بيتها ، فقامت مسرعة لزيارة القديس انطونيوس وبيدها سراج لان الامر كان في الليل فوضعت السراج مضيئًا على المذبح وشرعت تسأل الله شفاء ابنتها بشفاعة القديس ، فاستجاب الله طلبتها ، ولما

١) وُلد نحو سنة ١٧٧٠

رجعت الى بيتها كانت ابنتها قد ولدت . فذاعت هذه الحادثة بين سكّان الجوار فصاروا عند وفود الطوارئ، يهرعون الى ذلك المعبد الحقير مُسرجين سرجاً يَدْعونها على المذبح ومستغيثين بالقديس فينالون شفاعته[1] . وانا لذاكرون على سبيل المثل واحدة من تلك الكرامات : كان لفرنسيس حنا منصور ولد مرض، وهو طفل، حتى اشرف على الموت ويئس الطبيب من شفائه، وابى معالجته، فحمله ابوه على ذراعيه الى ذلك المعبد ووضعه امام المذبح واخذ يبتهل الى القديس، فتعافى الولد ببرهة وجيزة. فزادت هذه الحوادث المكان سمعةً، وحملت المؤمنين على ان يقدّموا دراهم ويلقوها على مذبح القديس، وكان موسى سركيس الذي نال خلاص امرأته في مخاضها يتردّد الى المعبد لقربه من بيته ويجمع تلك التقادم حتى اصبحت كمية غير يسيرة ؛ فأطلع الخوري يعقوب الحاج على الامور الغريبة التي اشهرت هذا المكان واثبت له صحتها، فاستلم الخوري يعقوب المال المجموع واوعز الى موسى ان يحفظ عنده تبرّعات المؤمنين وبدأ يحتفل بالذبيحة الالهية في الحجرة كل سنة في عيد القديس الواقع في ١٣ حزيران، فيتوافد جمع غير قليل من دلتا وشنتير وجوارهما لحضور الذبيحة تحت خيمة من اغصان الاشجار يقيمونها لضيق المعبد، وكان البعض يمتنع عن الاشغال الخدمية يوم العيد ولا تزال هذه العادة مرعية الى الآن. وفي سنة ١٨٦٥ بنى الخوري يعقوب كنيسة على اسم القديس انطونيوس والقديس الفونسيوس دي ليكوري الذي كان متعبداً له في محل مرتفع عن الحجرة نحو ٥٠ ذراعاً، واستحضر سنة ١٨٦٨ من رومية، بواسطة المطران امبروسيوس نطين، صورتَي يد من نوع الزيت احداهما للقديس انطونيوس والاخرى للقديس الفونسيوس وعلّقهما فوق المذبح، وكان ثمنهما ٢٤٠٠ غرش . ولما توفي سنة ١٨٧١ اوصى لهذه الكنيسة بكل ما له من الكتب والآنية الكنسية، ومن ثم اخذ سكان دلتا يحذون

---

١) قال الخوري منصور في النبذة التاريخية : «كان يبقى السراج موقوداً حتى فروغ الزيت منه مع ان الحجرة معرّضة جداً للرياح والعواصف حتى ان الفتيلة كانت تبقى دون ان تأكلها الهوامّ والوحوش البرّية. قيل ان ذات ليلة اتى ثعلب ليأكل فتيلة سراج فمات حالاً قرب السراج».

حذوه ، فوقفوا بعض ما لهم من الاملاك . وفي السنة عينها شاء المطران يوحنا الحاج ابن الخوري يعقوب وورثه ان يعهد في خدمة الكنيسة واملاكها الى القس مارون روفائيل الدلبتاوي من الرهبانية الحلبية ، فانصبّ هذا على حراثة الارض وغرس كروماً تحت الكنيسة وعقبه في الولاية سنة ١٨٧٥ القس لويس فرج باسيل الدلبتاوي من الرهبانية الحلبية ايضاً فابدى غيرةً حميدة واشترى جرساً من تبرّعات المؤمنين وحرّض اهل دلبتا على الاحسان الى الكنيسة ففعلوا[١] وسعى سنة ١٨٩١ لدى البطريرك يوحنا الحاج ليسلم الى رهبانيته الكنيسة وما لها من الاملاك ففاز ببغيته ، ورضي البطريرك . وعندئذٍ شيد القس لويس انطوشاً لسكنى من يخدم الكنيسة . ولما كانت سنة ١٨٩٣ اهتم الرهبان الحلبيون الدلبتاويون انتقل الدير الى حيث هو الآن فتمّ بنيانه سنة ١٩٠٢ ، وهذا الدير مبني على الطراز الحديث بالحجر الابيض النظيف مسقوف بالقرميد. وباشر المذكورون سنة ١٩٠٤ اقامة الكنيسة الحالية بقرب الدير ، وهي ايضاً مسقوفة بالقرميد طولها ١٥ متراً وعرضها ٨ امتار[٢] . واما اليوم فقد فقدَ الدير سكانه ، واصبح من سوء الحظ خاوياً خالياً ، ولم يبقَ واحد من العشرة الرهبان الدلبتاويين في قيد الحياة . وخربت اراضيه بموت الشركاء في ايام الحرب الكبرى .

٤ دير سيدة الحقلة

ان دير سيدة الحقلة هو وقف لعائلة ديب من دلبتا ولها عليه حقوق الولاية ، تسكنه راهبات تابعات لقانون رهبان القديس انطونيوس ، متقشفات جدّاً في مأكلهنّ ، فيقضين اغلب ايام السنة في الصيام والقطاعة ، وفي لبسهنّ فيتّشحن بثوب من الصوف او القطن الاسود، ويتمنطقن بزنار من الجلد ويمشين بلا حذاء ولا جوارب عند تقربهنّ اليومي الى المائدة المقدسة حتى في ابرد ايام الشتاء ، ويمكثن اكثر ساعات النهار في الكنيسة منقطعات الى الصلاة والتأمل ومن

---

١) النبذة التاريخية ص ١٢٨ وما يليها .

٢) عن سجل الدير المذكور .

اكبر واجباتهنّ اليوميــة ، تلاوة الفرض الطقسي الماروني «المطوّل» باللغـة السريانية حسب الساعات من الصبح الى النهار الى العصر الى المساء الى الليل ، وذلك بالانغام والالحان المألوفة وزد على ذلك تحصّنهنّ فلا يسمح لهنّ بالجولان خارج ارزاق الدير القريبة.

وقد ابدت العذراء مريم عناية جزيلة بكنيسة هذا الدير ، فجادت فيها بنعم غزيرة وعجائب عديـدة خصوصاً على من كان عاقرًا او خُولط في عقله. فذاع صيت المكان ويقصد اليه الزوار المؤمنون من كل انحاء لبنان بل من حلب والشام وفلسطين. وداخل السور المحصّن بعض غرف لقبول النساء المتوهات تهتمّ بهنّ الراهبات كل الاهتمام في الخدمة والاكل والتنزه فيخرج اكثرهنّ معافىً .

ولهذا الدير ديران آخران ملحقان به وتابعان له وهما دير المخلّص في دلبتا، المدعوّ «دير المغص» ودير سيدة مستيتا قرب جبيل.

بُني دير سيدة الحقلة سنة ١٦٧٠ بعناية القس يوسف اصاف. اما المكان الذي شُيد فيه فوقفه ابو يوسف الياس ديب وقد كان له في بدء الامر بعض الاختلاط مع وقف مار عبدا المختصّ بعائلة اصاف ويثبت قولنا بعض الوثائق القديمة التي ترى فيهـا احياناً رؤساء الوقفَين من عائلة اصاف ، واحياناً رئيساً واحدًا من عائلة اصاف على الوقفين[1] . وقد عثرتُ في كنيسة الدير المذكور على براءتـين الاولى من البـابا اكليمنضوس العاشر مؤرخـة في ٢٤ تموز سنة ١٦٧٥ ، فيها يمنح مذبح العذراء مريم «في كنيسة رهبان مار عبدا التابعين لقوانين مار انطونيوس انعام المذبح الممتاز على مدة عشر سنين» ، والثانية من البابا اينوشنسيوس الثاني عشر مؤرخة في ٣٠ تموز سنة ١٧٠٠ فيهـا يمنح جميع المؤمنين غفراناً كاملاً ، اذا ما اعترفوا وتناولوا القربان وصلّوا على نيـة الحبر الاعظم وزاروا بعبادة «كنيسة سيدتنا العذراء مريم في دير رهبان مار انطونيوس

---

١) سجلات البطريركية المارونية ، المجلد الثاني صفحة ٦٧. ترى في وثيقة مؤرخة سنة ١٦٧٣ الخوري يوسف اصاف رئيساً على دير سيدة الحقلة، والخوري متوق اصاف رئيساً على مار عبدا. وفي وثيقة مؤرخة سنـة ١٦٨١ ترى الخوري يوسف اصاف « رئيس الديرَين مار عبدا والحقلة ».

المسمى سيدة الحقلة في يوم عيد انتقالها الواقع في ١٥ آب وذلك من عشية العيد عند العصر الى يوم العيد عند غروب الشمس » وهذا الانعام معطىً ايضاً لمدة عشر سنين فقط . وكان يقيم في قسم من الدير رهبان ، وفي القسم الاخر راهبات حسب عادات الاديرة القديمة ، فالراهبات ينقطعن الى الاشغال الداخلية والرهبان يعكفون على شغل الارض واستثمار الاملاك بعد تتميم الواجبات الروحية والرهبانية . وسنة ١٧٣٦ قدم المنسنيور يوسف السمعاني من رومية ليترأس المجمع اللبناني باسم الحبر الاعظم وقد اجتهد كثيراً في فصل اديرة الرهبان عن اديرة الراهبات ومما صار الاتفاق عليه امامه وبتصديقه هو ان « الخوري بطرس الريس وباقي رهبانه في دير الحقلة يشتركوا مع رهبان دير البقيعة[1] الخوري صابر ورهبانه وبرضى المذكورين يكونوا الديرين ديراً واحداً ويختص دير الحقلة بالراهبات ودير البقيعة للرهبان تحت يد رئيس واحد ويتدبروا الراهبات بموجب رسوم وقوانين الراهبات ويتدبر دير البقيعة بموجب رسوم وقوانين الرهبان لا تغيير ولا تبديل . كان ذلك برضى حضرة المشايخ الخوازنة اولاد ابو نوفل المكرّمين حكام الديرين[2] » .

غير ان هذا الاتفاق لم يوضع حالاً في حيز العمل بل وجد امامه عقبات شاقة وتأخر تنفيذه الى ما بعد انتهاء مجمع اللويزة . ولما كانت سنة ١٧٤٤ توفي القس بطرس المشمشاني رئيس الدير ، فخلفه القس بطرس ديب وهو اول رئيس من عائلة ديب ، فكد وجد في تكثير موارد الدير وزيادة املاكه ، فنجح النجاح التام وبنى ١٧٦٥ كنيسة الدير الحالية ، بمعاونة القس يوسف باسيل المعرابي . ونال من الامير يوسف شهاب سنة ١٧٦٦ ، مزرعة مستيتا ، كما سنذكر

---

١) دير البقيعة يُعرف الان بدير مار روحانا قرب قرية دلبتا .

٢) سجلات البطريركية المارونية المجلد الثاني صفحة ١٦٦ : قد امضى صك الاتفاق المذكور « المنسنيور يوسف السمعاني قاصد قدس الحبر الروماني والكرسي الرسولي المقدس . الحقير في الرؤساء عبدالله مطران مدينة بيروت . الفقير اليه تعالى المطران انطاطيوس شرابيه . الحقير في الكهنة توما اللبودي اب عام رهبان مار انطونيوس اللبناني . الخوري بطرس رئيس دير الحقلة من مشمش . الخوري صابر رئيس دير البقيعة من مقلبين . القس حنا الراهب من دلبتا . . . انطانيوس الخازن . سلمان الشدياق الدحداح » .

ذلك في ترجمته في غير هذا المكان وفي تلك السنة عينها ألحق الامير يوسف بدير الحقلة دير مار دوميط البوار ، وذلك اكراماً للقس بطرس ديب الذي كان له في عينيه حظوة كبرى . وقد جاء في وصية القس بطرس المذكور انه اخذ «مار دوميط ومستيتا من سعادة الامير يوسف شهاب المحترم وان المواضع المذكورة باسم سيدة الحقلة وهم لها مثل المغيسل التي في وطا الجوز وما قام هل مطرح المذكور الا من رزق سيدة الحقلة ووقفها ونذوراتها وبسعي رئيس دير السيدة القس يوسف باسيل وبسعي الخوري بطرس وبتعب رهبانها والموضع المذكور صار ملك من بعض املاك السيدة المذكورة مثل التوت الذي قدام مقامها ، وكان اخذ المطارح بسعي حضرة وندنا المرحوم الشيخ منصور الدحداح وقرايبه[1] » . غير انه وقع سنة ١٧٦٨ خلاف بين رهبان دير سيدة الحقلة واكثرهم من دلبتا ، ورهبان دير مار دوميط واغلبهم من عائلة ضو . فانقسم هؤلاء عن اولئك ورُفعت شكوى الى البطريرك يوسف اسطفان الذي اصدر سنة ١٧٧٣ حكماً بالانفصال .

وقد حدث في دير سيدة الحقلة سنة ١٧٦٧ حادث كان داعياً لتمجيد العذراء مريم ولتوفير اموال الوقف ، وهوذا الخبر ملخصاً عن تاريخ المقاطعة الكسروانية : انصدع جرس الدير بينما كان يقرعه القس سركيس المشقوتي[2] فاستولى على الراهب حزن شديد لانه سبَّب هذه الخسارة الجسيمة فخطر بباله ان يتوجه الى اوربا ويجمع الصدقات ويُعوِّض الدير من الضرر الذي اصابه ، فعرض فكرته على رئيسه القس بطرس ديب ، فرضي بها . وبعد ان نال من البطريرك اجازة بالسفر نزل الى بيروت فوجد سفينة على اهبة الرحيل الى النمسة فسأل ربانها ركوبها فلبى طلبه بعد ان اطلع على مقصده الحميد وتوسم فيه الصلاح والتقى ولما بلغت السفينة المرفأ سار الراهب الى ڤيانا العاصمة ، واخذ يجول فيها وعدّ كفه مستعطياً . ولما كان يجهل لغة البلاد كان الناس يتبرعون

---

١) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني صفحة ٧٠٦ .

٢) ان القس سركيس هو من مشقوت من عائلة عطاالله المعروفة الآن « ببيت الشدياقية » قدمت هذه العائلة من يحشوش غير ان اصلها الاول من يانوح .

بالحسنات لمجرّد نظرهم اليه اذ كان يبدو على وجهه دلائل التقشف والتواضع والورع وفي تلك الاثناء اعترى ابنة الملكة ماريا تريزيا[١] مرض ثقيل اعيا الاطباء، فتقدم احد الموظفين في البلاط الملكي واعلم الملكة بوجود كاهن شرقي في المدينة، عليه امارات النسك والقداسة واشار عليها بان تدعوه ليصلي في غرفة ابنتها عسى الله يمنّ عليها بالشفاء بواسطته، ففعلت وما انتهى القس سركيس من الصلاة حتى شعرت المريضة بتحسن وما لبثت ان تعافت فما اعظم ما كان انذهال الملكة من هذه العجيبة وما كان اشدّ فرحها، فاستحضرت الراهب واستوضحته سبب مجيئه الى بلادها، فاخبرها بالامر بصراحة وسذاجة. فتأثرت وامرت ان يعطى كل ما يرغب من الآنية الكنسية على نفقتها. قال صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية: فطلب القس سركيس اولا جرساً فاخذه وكان جميل الصوت جداً «وحتى الآن لم يوجد مثله في الشرق كله في رباقة رنّته المطربة الشجية المشنّفة اذان سامعيها وصداه يميل بسامعه للترنح والترنم[٢]» ثم صنع عدة كاسات منها ما هو غريب الصناعة والزرافة وشماعين ثمينين جيلي الصورة وجملة بدلات وغفارات منها هو غالي الثمن محكم النسج[٣] وبيت جسد من الصناعة المعتبرة والهندسة الجميلة[٤] وشماعدين وصوراً معتبرة وخلاف ذلك من الاواني الكنسية وارسل الجميع قبل حضوره وقد جمع كمية وافرة من

---

١) قد تكون المريضة ماري انطوانيت، زوجة لويس السادس عشر، ملك فرنسة. وُلدت سنة ١٧٥٥ وتوفيت سنة ١٧٩٣.

٢) انصدع هذا الجرس من سوء الحظ سنة ١٨٨٩، بنزول صاعقة انقضّت عليه وعلى خورس الكنيسة، ولا تزال آثارها ظاهرة الى يومنا، وقد عُهد الى بني نقاع من بيت شباب ان يصبّوا جرساً غيره.

٣) لا يزال قسم من هذه الامتعة موجوداً في الدير.

٤) ان باب هذا البيت المقدس من الفضة المحض، طوله نحو نصف ذراع، وعليه كتابة باللغة الالمانية القديمة مؤرخة سنة ١٧٧٠، تتضمن اسماء بعض المحسنين يطلبون الصلاة والذكر الدائم في الذبيحة. وهذه الكتابة مغطاة بصفيحتين من الفضة ايضاً عليهما كتابة بالكرشوني ننقلها بحروفها: «سيدة الحقلة وقف الدير، سنة ١٧٧٠، اما العبد الحقير القس سركيس المشقوتي، مترجي فضلكم بالصلاة والقداس الى المحسنين اليك»

الدراهم غير انه قد عاجله المنون ودُفن هناك واضحى المـال المجموع منه غير محصّل »[١] . وقد وقفت على اعلام من البطريرك يوسف اسطفان يتعلق بهـذا الموضوع ، وهذه حرفيته : « انه متوجه الى فيانا مدينة قيصر الملك المظفر ولدنا العزيز القس يوسف ذيب نائب حضرة ولدنا الاب موسى رئيس دير سيدة الحقلة المكرّم لكي يداعي على متخلفـات المرحوم اخيه القس سركيس العشقوتي الذي كان راهب في الدير المذكور فالقس يوسف المشار اليه متعاطي فيما يخص درجته من تقـديس الاسرار وحل الاوزار غير محروم ولا مربوط ولا ممنوع ولذلك قد اصحبناه بهذه الباطنتا شهادة بيده ليكون مصدقاً عند الجميع من الابنا المسيحيين المباركين الموجودين في كل بلد ومكان تحريراً في ١ نيسان سنة ١٧٨٨ مسيحية »[٢] .

وفي سنة ١٧٦٨ رفع كهنة دير سيدة الحقلة ، وعددهم ١٢ ، عريضة الى الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر يطلبون فيها ان يمنح المذبح الملكي في كنيسة ديرهم « انعام المذبح الممتاز » وذلك مؤبّداً فتنازل واجاب الملتمس ببراءة لا تزال موجودة في الدير .

ولما الغى البابا بيوس السادس ، سنة ١٧٧٩ ، جمعية الراهبة هنـدية المسماة « اخوية قلب يسوع الاقدس » خرجت الراهبـات من دير بكركي ، فاقامت هندية مدة عند انطون الجاماتي في عينطورا . ولما انتخب المطران يوسف التيان بطريركاً امر بنقلها الى دير سيدة الحقلة ، فقضت فيه سنيهـا الاخيرة بالتوبة والدموع والتقوى ، وتوفيت فيه سنة ١٧٩٨[٣] . وفي سنة ١٧٨١ ، تولى الخوري موسى ديب ، المصوّر المعروف ، رئاسة الدير خلفاً لعمّه . وبنى سنة ١٧٩٧ في خراج دلتا في المكان الموقوف من ابناء عائلتـه ديراً جديداً باسم المخلص ، ويسميه الاهلون « دير العفص » ، وعين فيه رهباناً لحراثة الارض . ثم حدث

---

١) الخوري منصور الحتوني : المقاطعة الكسروانية ، ص ١٨٤ و١٨٥ .

٢) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني ، ص ٨٤٧

٣) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني ، ص ٧٣١ و٩٣٧ و٩٥٨

تشويش واختلاف في الدير في ايامه، فاوقفه عن استعمال الوظيفة البطريرك يوحنا الحلو، وسمّى وكيلًا على الدير بدلًا منه الخوري يوسف وأجي الخازن. وفي تلك الاثناء عزم البطريرك، بالاتفاق مع القاصد الرسولي لويس غندولفي، على تحويل الدير الى مدرسة اكليريكية للطائفة غير انه قد حال دون تحقيق هذه الفكرة عقبات [1]. وفي سنة ١٨١٨ التأم مجمع اللويزة وحتم بان يكون دير سيدة الحقلة لسكنى الراهبات، ودير سيدة مستيتا للرهبان. وارجع الخوري موسى ديب وكيلًا على دير سيدة الحقلة، وسمي رئيساً على رهبان دير مستيتا القس طانيوس التحومي [2]. وبعد ذلك قرّر لعائلة ديب حقّ الولاية على الدير وملحقاته وقد اثبت الكرسي الرسولي اعمال هذا المجمع في السنة التالية اي سنة١٨١٩. وبعد وفاة الخوري موسى سنة ١٨٢٦، وقعت مخاصمات وانشقاقات اضرت باحوال الدير. ولما انتخب المنسنيور يوحنا ديب رئيساً في اوائل هذا الجيل، اراد ان يجدّد كل قديم في بنايات الدير واملاكها، فانجز قسماً من ذلك القسم والقسم الآخر حالت دون تحقيقه الحرب الكونية، كما تقدمنا وذكرنا ذلك في غير هذا المكان. وبعد ان توفي سنة ١٩٣٠، انتُخب خلفاً له الخوري اسقف بطرس ديب الذي يبدي كل اجتهاد في انماء وقف اجداده، كلل الله بالنجاح مساعي كل عامل للخير.

١) سجلات البطريركية المارونية: المجلد الثاني، ص ١٠٤٦ و١١٤٣. جارور البطريرك يوحنا الحلو عدد ١١ و٢٨ و٣٩ و٥٤ و١٠٠ و١٨٨ و٢٦١ الخ.

٢) سجلات البطريركية المارونية: جارور البطريرك يوحنا الحلو عدد ٣٥٢

(لها بقية)

عروس الصحراء دير الزور

بقلم الاب توتل اليسوعي

قدمنا اليها ساعتين قبل نصف الليل ، والهلال اسدل عليها غشاء نور شفَّ عن البنايات ، فموّه بخطوطه المدينة تمويهاً ، ولم نرَ منها اكثر مما يراه الانسان من المرأة المبرقعة ، الملتحفة بازارها الفضفاض . كان السبات قد عمَّ الاحياء ، فهدوء وسكينة ، الا في جوار دار البريد ، حيث بعض التجار يستعجلون توزيع المكاتيب التي حملتها السيارة ، واياها ، من حلب . . وهناك مقهى يقضي فيه الناس اواخر ساعات السهر قبل انقضاء الهجمة الثانية من الليل . ثم حرس من انفار الجند ، ووقع خطوات طارق يعود الى منزله . الهواء هواء اذار ، بين شتاء وربيع ، بليل ، رطب ، مخضل بماء الفرات ونفثاته . الفرات أ يا ما اهيب سيره تحت النجوم وهو يبصّ بصيصاً اذ تعكس مياهه اشعة انوار السماء .

بتنا ليلتنا في بيت من بيوت كرام المسيحيين ، وما صاح الديك الا هبت عروس الصحراء من رقادها ، فأسفرت عن وجه وضّاح وهالة ذهبية : هي مدينة دير الزور ، وبساتينها ، ومنتزهاتها ، وثكنات عسكرها وحكامها ، واروقة ازقتها واسواقها . ظهرت مطوقة بالرمال ، مقلدةً جيدها باشعة الشمس المنعكسة عليها ، لابسةً جلباباً ولا جلباب العرائس . تحركت فاحتذت الخلاخيل ومشت : وهو رغاء وهو ثغاء ؛ غنم الموصل يتوقع على ضفاف الجزيرة تجهيز الزوارق لعبر المياه الى ارض الشامية ؛ وفرقة جيش الهجانة تتأهب للرحيل الى منطقة الخجة لاحتلال الاراضي التي تخلى عنها الأتراك لبلاد الانتداب . ومئات

العمال يتزاحمون على الطريق المؤدّية الى ورشة الجسر الاكبر. فُتحت الحوانيت واقبل الناس على اشغالهم وخرج ضباط الجيش الافرنسي وعسكره الى اعمالهم. ومضينا الى الكنيسة نصلي قبل اخذنا بزيارة الرعية المسيحية وتفقد شؤونها ودعوتها الى الرياضة الروحية.

دير الزور مدينة عريقة في القدم، وآثارها طوامس تحت بناياتها، ولا بد ان يساعد الزمان على كشفها. اما اليوم، فالمراجع الى معرفة احوالها هي الاخبار التي يتداولها السكان، مع ما يذكر عنها في سجلات الحكومة الحالية والسابقة، ومع اقوال الروّاد فيها، ومرامي التاريخ اليها في سياق الحديث على الحوادث الخطيرة التي جرت على شواطئ الفرات الاوسط. فمنها نستقي تعلياتنا في الكلام على اسمها وموقعها، وعلى احوالها في حكم مشايخها العرب، ثم في حملة عمر باشا عليها، وتوطيد اركان السلطة العثمانية فيها، الى ان دخلت حياتها الجديدة في ظلّ الانتداب الافرنسي.

اسم البلدة وموقعها

عدّوا لها لا اقل من عشرة اسماء! فايّ اسم احق بان تعرّف به؟ في سنة «المشرق» العاشرة (١٠ [١٩٠٧] : ٤٨٨-٤٩٢) نشر حضرة الاب انستاس الكرملي مقالًا على اسماء الدير ومعانيها حديثاً وقديماً، فقال ما خلاصته: انهم سموها دير الزور نسبةً لاشجارها، واشتق لفظة الزور من زأر وقال: زأرة الاسد اجمته؛ والزأرة الاجمة ذات الماء والحلفاء والقصب. وقال ايضاً انهم سموها «دير الشعار» بتخفيف العين، والشعار في العربية الشجر الملتف، ولمثل هذه العلة سموها ايضاً دير العصافير وهذه لا تكثر الا في مواطن الاشجار. وقد وافقه على هذا الرأي بعض المستشرقين الذين ترجموا الى لغتهم دير الزور بمعنى دير شجر الطرفا او الاثل (*Tamaris*). وقد يوافق موضع دير الزور الحالي اسم دير الرمان، الذي ورد في معجم البلدان لياقوت، القائل: دير الرمان مدينة كبيرة ذات اسواق للبادية بين الرقة والخابور تنزلها القوافل القاصدة من العراق الى الشام.

وسمع كاتب هذا المقال احد مشايخ الدير الحاليين يقول: رُوي عن الفاتح تيمورلنك انه قدم الدير ووجد فيها عذارى عابدات فلم يمسّهن بأذى ؛ وينسب اسم البلدة الى انها كانت في الحقيقة ديرًا . وقال ايضاً قد يكون اضيف اسم الزور الى الدير نسبة الى زيارته من الناس ، او لازورار الفرات في ذلك الموضع ، وهو ينشقّ الى شطرين فيعتنق « الحويقة » بذراعيه ثم يعود فيجمع مياهه عند خروجه من الدير . وقد سبق الاخطل ووصف الفرات بالازورار في جريه من جبال الروم المطلّة عليه حتى يشقّ بلاد العراق ، فقال :

مسحنفرٌ من جبال الروم يستره منها اكافيف فيها دونه زورُ (١

ويقال ان اول ما ورد اسم الدير في المؤلفات العربية كان عن لسان ابي الفداء سنة ١٣٣١ م ، فسماها دير بصير . وقال: كان فيها سدّ فهُدم بفيضان الفرات . ويرى المستشرق موسيل ان دير بصير المذكور انما كان موقعه في البصيرة الحالية . والله اعلم ! على ان تنوع اسماء الدير ، بثبات المضاف وتغير المضاف اليه ، قد يكون دليلًا على ان اسم البلدة الاصيل هو دير او ما شابهه لفظًا، فاخذه العرب ونطقوا به باللفظ الاقرب مبنى ومعنى من لغته الاصلية فقالوا الدير . ولما كانت هذه الكلمة دالة على اعلام كثيرة ، ميّزوا بينها وبين غيرها بما الحقوها به من مضاف اليه . ولعل البحث على اسم البلدة القديم يمكننا من معرفة الاصل الذي صاغ منه العرب كلمة « الدير » :

قال بطليموس في كتاب الجغرافية [٢] : ان حدود بلاد العرب المقفرة هي في الشمال نهر الفرات . ودوّن لائحة المدن الواقعة على ذلك النهر ، فذكر « تفساخ وبيرثه وجادرثه . . . وادّاره » . فاي الاسماء كان في سابق الزمان اسماً لديرنا الحالية ؟

تناقش الموضوع الابوان الفاضلان انستاس الكرملي ولامنس اليسوعي (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٤٨٨-٤٩٢) فارتأى الاول رأي من قال انها ليست

١) المسحنفر : السريع الجري ؛ الاكافيف : المناكب ؛ الزور : الميل (طبعة صالحاني ١٠٢، ١)

٢) طبعة مولر ، ١ ص ١٠١٤

الا «تفساح» القديمة التي جاء ذكرها في التوراة (٣ ملوك ٤ : ٢٤) . وفي وصف كسينوفون لرحلة العشرة الآلاف ولبطليموس وغيرهم . وذهب ابعد من ذلك فقال : ان بني ارم ابدلوا هـذا الاسم باسم آخر يناسبه معنى ويخالفه مبنى ، فانهم نقلوا الى لغتهم كلمة «تفساح» بلفظة «صندوذياء التي معناها الارض العطشى الخ . . . » وردّ عليه حضرة الاب لامنس مبيناً ان تفساح ليست في موضع دير الزور وقد كانت ، على ما رواه الاقدمون ، غير بعيدة عن حلب ومنبج والبيره او بيرجيك . واحتج لرأيه باحدث مـا كتبه الاثريون والجغرافيون . وجاءت منذ تلك الايام مؤلفات موسيل وهرتزفلد وغيرهما ، وكلها تنفي كون تفساح القديمة هي دير الزور الحديثة .

ومال الالماني ريتر الى تعيين برثه التي ذكرها بطليموس موضع دير الزور ، وقال غيره انها قد تكون «اداته» او «اداره» المذكورة سابقاً . . وقد يرجح مولر وفليشر وهرتزفلد انها كانت Γαδδαθα وهي التيجاءت مشوّهة باسم درته في لوح بوتنجر وعند صاحب الجغرافية الراثني . واصل اللفظة بالآرامية والعربية واضح فهو ܓܕܝܪܐ اي غنم وبالعربية «جديرة» او حظيرة . وهو موافق تام الموافقة لموضع دير الزور ، وهي المحطة الكبرى للغنم في اجتيازه من الجزيرة الى سورية .

وقد يؤيد هذا الرأي ما قاله بطليموس عن موقع «جديرته» المناسب لموقع دير الزور باربعين درجة وعشر دقائق طولاً ، و ٣٥ درجة وعشرين دقيقة عرضاً شمالي الكرة الارضية .

الدير على عهد القبائل

ان آثار المدن الباقية الى يومنا في بلاد الفرات الاوسط دليل على عمرانها في العهد الروماني والعربي . ولا بد ان بلدة الدير ، الواقعة على بعد يوم من قرقيسية ومصبّ الخابور ، ويومين من الرقة قاعدة هارون الرشيـد ، كانت مزدهرة في القرون الوسطى . ولكن ليس بين يدينا دليل واضح على حالتها سوى مـا نعرفه عن حسن مركزها للمواصـلات بين بلاد الجزيرة وبلاد الشام . وطرأ

عليها ما طرأ على امثالها من حوادث الخراب من جراء الحروب وحملات التتر على البلاد السورية في القرن الخامس عشر . الى ان اقفرت البادية على شواطئ الفرات ، وانقطع حبل الامن ، وتحول مجرى التجارة الى الهند عن طريق بحر قزوين شمالاً او عن طريق الاسكندرية[1] جنوباً . وشلّت اليد العاملة في مشاريع الري والزراعة فغمرت الرمال المدن الخالية من سكانها ، وطغى الفرات ، وسد باوحاله الاقنية التي اصطنعتها ايدي البشر منذ عهد اشور وبابل وتغيرت سحنة البلاد : كانت سابقاً اشبه بجنة عدن فامست مسرحاً للنعام وميداناً لحروب القبائل وغزواتها . ولم يعن العرب بعمرانها ، وهم يفضلون سكنى الخيم على البيوت . وقلما يخافون سقوط الامطار لمدة مديدة ، ويكتفون بظل الخيمة وقاية من الشمس . فاذا سئموا المقام في ارض اقلعوا منها ورحلوا الى غيرها طبقاً لاحتياجات المواسم[2] . وابن البادية شامخ ، صلف ينظر بعين الاحتقار الى سكان البيوت ويستضيق العيش ضمن جدرانها[3] . فلا عجب ان تقهقرت مدينة الدير في ايام العرب . على ان مركزها على مخاضة الفرات جعلها محطة لشيوخهم . كانوا يقيمون فيها ويراقبون منها حركة الاسفار ويضربون فرائض الخوّة والمكوس على المسافرين . وهم على ذلك ملتزمون بدفع الضرائب للسلطان . بلغت الينا اخبار ذلك العهد عن الرواد الذين قطعوا بلاد الزور وتركوا لنا وصف رحلاتهم ، ومن اقوالهم يتاح لنا ان نعرف البلدة كما شاهدوها في القرون الاخيرة .

في السنة ١٥٧٤ حط فيها روئلف (L. Rauwolff)[4] الطبيب والعالم النباتي الالماني ، وهو مسافر على الماء من بيرجك الى فالوجه . فوجدها بلدة « صغيرة » يحكمها الاتراك . تقدم اليه منها رجال نزلوا في سفينته واتوا بها الى الشاطئ فوق طريق العبر . وكانت بيوتها متلاصقة في تل على الضفة اليمنى

---

١) راجع مقال كاروترس (D. Carruthers) في الجريدة الجغرافية الانكليزية ١٩١٨ ، ص ١٥٨ ، على طريق القافلات من حلب الى البصرة .
٢) راجع ساخو (Sachau) في كتابه على سورية وما بين النهرين ، ص ٢٦٥
٣) راجع اوبنهايم : من البحر المتوسط الى خليج فارس ، ٢ ص ٥٠
٤) راجع ريتر ، الجغرافية ، ١٠ ص ٦٩٣

تحيط بها جدران وخنادق . اقام فيها روفلف ثلاثة ايام قبل ان يؤدي فرائض المكوس. وصف سكانها فقال انهم اقوياء البنية والاعضاء؛ شعرهم اسود قاتم، واخلاقهم مهذبة تستأنس بالغريب . كانت محصولاتهم الحنطة والشعير، والقطن والذرة، وكانت بساتينهم حافلة بانواع الفواكه من قرع وبطيخ وغيرها وهذه تباع باسعار بخسة جداً. وهناك ايضاً شجر النخل والليمون والبرتقال . وكان موظف المكس رجلاً ارمنياً . وكانت مخاضة الفرات من جانبي الجويقة قليلة العمق، فتلجئ اصحاب الزوارق الى تخفيف حملها لئلا تتوحل في الرمال . وهناك نوع من الشجر اشبه بالصفصاف ويسميه السكان « غرباً »[1]، وقد ينتشر في الساحل وينمو بكثرة، وقلما يرتفع عالياً.

وفي ١٦ نيسان من السنة ١٦٩٦، وصل الى الدير الاب يعقوب ڤيلوت (Villotte) ورفيقه، اليسوعيان وكان قد ابحر من القسطنطينية في ٣١ كانون الثاني، ومر بناليبولي في ٣ شباط، وبجزيرة رودس في ١٠ منه، وبقبرس في ٢٦ منه . ووصل الى طرابلس الشام في ٦ آذار، وفي ٢١ منه الى حلب، وكانت باوج عزها . وغادرها الاب ورفقته قاصدين الى اصفهان عن طريق البادية . فتكبدوا مشاق الجوع والعطش ووقعوا في ايدي اللصوص، واضطروا الى حط رحالهم في دير الزور. قال الاب ڤيلوت (ص٣٦٤): بعد السير الحثيث هرباً من البدو ؛ بلغنا الدير، وهي قرية حقيرة واقعة على شاطئ الفرات يحكمها باسم السلطان احد بكوات العرب، ويبسط سلطته على هيت والدير وعانة وسائر شواطي الفرات الى بغداد، ويتقاضى ديناراً ذهباً على كل من المسيحيين المجتازين دير الزور . وكان مرافقاً للاب فيلوت دليل له معارف بالدير، فلم يدفع عن الاب ورفيقه للبك الا دوكاً واحداً ومهد لهما سبيلاً للراحة من اعناء السفر . وفي الثامن عشر من نيسان خرجوا من الدير نحو الساعة الثالثة بعد الظهر ولم

١) ما زال هذا الشجر كثيراً في الدير الى يومنا. عرضنا اوراقه على استاذ النباتات في معهدنا الطبي الافرنسي فسماه *Populus canescens* من نوع *Salicinée*، وقد يصلح ثمره حشواً للفرش والمخدات .

٢) راجع اسفار احد المرسلين ص٣٦٤... *Voyages d'un Missionnaire, Paris, 1730*

يقطعوا مسافة بعيدة الّا خرج العرب عليهم وسلبوهم

وفي السنة ١٨٠٩ ، وصف روسو ديرالزور في كتابه على « باشاوية بغداد » فقال انها قرية خاملة الذكر فيها بعض بيوتات العرب . وكانوا بالظاهر خاضعين لباشا بغداد ، وبالحقيقة مستقلين . وكانت البلدة آنذاك تحت التأثير الذي نالها من حملة سعود بن عبد العزيز الوهابي عليها سنة ١٨٠٧ [١] .

وفي ١٥ ايار ١٨٣٦ [٢] وصل الى دير الزور منحدرًا على النهر من بيرجك الكولونيل تشسنه الانكليزي، وهو اول من خاض مياه الفرات بمركب بخاري، على امل ان يفتح الممرّ بحرًا من الهند الى البحر المتوسط على طريق بيرجك فانطاكية فالعاصي . ووافق مروره بالدير زحف الجراد عليها . ووجد في انحائها نوعًا من الحمر استعمله وقودًا في سفينته البخارية ، ونعت ذلك الساحل بالارض السوداء ، نسبة لسواد الاسفلت فيها . ولم يلاقِ من العرب القاطنين شاطئ الفرات في بلاد الزور الّا كلّ ولاء وصداقة . ووصف المدينة فقال [٢] : ان الدير القديمة تحوي زهاء الف بيت مبنية على تلّ عالٍ ، بشكل المخروط ، مرتفعة على جانب الفرات الايمن ، تجاه طرف الحويقة الشرقي ، الواقعة بين النهر وبين الترعة ، وهذه الترعة فُتحت لتخفيف شدة مياه الفرات في سرعتها نحو الشرق وهي محكمة الحفر ، صالحة للملاحة . فاجتازها من غير ما عقبة .

وارسل الكولونيل تشسنه من الدير رسالة الى حلب ، مبشرًا بوصوله الى تلك المحطة بالسلامة . وسبر ابان رحلته على الفرات اغوار المياه وقاس اعماقها ودوّنها في الخارطة التي رسمها للنهر واشفع بها مؤلفه الكبير على الرافدين . وقد نشرنا ما اخذناه من تلك الخارطة في بلاد الزور، وعرضناه على ان يستفيد منه من ليس بوسعه مراجعة الخارطة الاصلية

---

١) موسيل: الفرات الاوسط ، ص ٢

٢) ريتر : جغرافية ، ١١ : ٦٩٢

٣) راجع تشسنه : رحلة دجلة والفرات Col. Chesney, *Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris*. London, 1850.

عمر باشا الكرواتي

في ذلك العهد، كانت «الدولة العلية» صاحبة السيادة على البلاد، لكنها لم تخضع الاهلين الا حيث كان جيشها مظفرًا قويًا . وقد طالما تكبدت المشاق في كبح جماح العرب ، وهم يقطعون طرق البادية بين الشام والعراق ويمنعون الحجاج عن زيارة الحرمين ، ويغزون الموظفين ابان رحلاتهم من الاستانة الى بغداد لاستلام مقاليد الحكم فيها. وكانت دير الزور من المحطات التي استقل فيها العرب او كادوا لرفع لواء العصيان على تركية . فعقد الباب العالي العزائم على استئصال شأفة الفتن.

في اواخر السنة ١٨٥٨ ، لو اشرف سكان الدير من اعالي الاكمة المبنية عليها مدينتهم لرأوا عن بعد ، نحو الغرب ، جمهورًا كبيرًا اشبه بالجيش المنظم ، وقد طارت على رؤوسه اشعة الآلات الموسيقية النحاسية وتصاعدت من صفوفه الالحان الحربية المهيجة . من كان الآتي من الصحراء وما كان مقصوده ؟

هو عمر باشا ، وقصده فتح الدير.

ولد هذا القائد سنة ١٨٠٦ في كرواتيا من اعمال النمسة[1] وتعمد في الكنيسة اليونانية الغير الكاثوليكية ، وساقته الايام من قريته الى الخدمة العسكرية الى التوظف في الجيش التركي، الى جحود ايمانه واعتناقه الاسلام ، لا عن يقين ولكن طمعًا بالتقدم في المراتب . وساعده الحظ فتزلف الى السلطان عبد المجيد وحظي برضاه ، فعُهد اليه بقيادة الجيش ورُفع الى رتبة سردار ، واشترك في حرب القرم ونال رتبة باشا بغداد ، فسافر اليها عن طريق حلب والبادية . وكان شجاعًا ، طموحًا الى العظائم ، مغوارًا ، توّاقًا للبذخ والفخفخة . وقد اخذ على عاتقه مهمة تأديب العرب .

في ٢ كانون الاول سنة ١٨٥٨ خرج من الشهباء وامامه ٥٠٠ فارس من سوريين واكراد، وبمعيته قافلة عدت ٦٠٠ جمل، وحملت الحريم والعسكر والضباط

---

١) راجع مجلة المراسل *Le Correspondant* ١٨٩٥ : ١٨٠ ، ص ٢

والموظفين . وكان مـا بين هؤلاء علي باشا الشركسي ، وابراهيم باشا البولوني اليهودي الاصل ، واسكندر باشا المعروف بالكونت ايلنسكي ، وشبلي باشا زعيم الدروز سابقاً ، وكان عمر قد اسره ابان حملته على جبل لبنان ، واليهودي سيتر جولدشتين . وكان على رأس القوم صفّ من الجنود يعزفون بـآلات الموسيقى النحاسية . وكان غرض عمر باشا من هذه المظاهرة ان يلقي الهيبة في قلب سكان الدير فيطيعوه في كل ما يفرضه عليهم من الضرائب .

ولكن ما رأى سكان البلد الخلة وما سمعوا اصوات الابواق الا ذعروا ودخلوا بيوتهم وتحصنوا فيها ، وامتنعوا عن قبول الباشا التركي . وكان عسكر الباشا بحاجة الى الطعام والشراب والذخيرة ، فما ان عرفوا المجال واسعاً حتى هاجم بعضهم البلدة ودخلوها عنوة واعملوا فيها السيف ، بينما كان غيرهم من الفرسان يطوفون الانحاء ويحولون دون قدوم البـدو لنجدة سكان البلـدة . وكان غيرهم من الجنود واقفين في حراسة الحريم والامتعة .

وقدم الباشا بذاته امام الدير ، واذا باحد ابوابها قد فُتح وخرج منه شيخ يجر وراءه سلسلة من الناس التاعسين وهم عزل يطلبون الامن .

فامّنهم عمر باشا ، وردّ العسكر عن البيوت وضرب على السكان الاتاوة ، واسر منهم سبعين فاقتادهم معه الى بغداد عن طريق الصحراء ، ليجعلهم بين العرب عبرة لمن اعتبر . وقيل ان اربع مئة من السكان ماتوا في تلك الوقعة . وهدأت البلاد بعد سفر عمر باشا . وخيم الامن عليها . انما تلك كانت طرق التأديب على ايام الاتراك .

اما سائر حوادث واخبار البلدة فسوف نقف عليه في المقال الآتي .

تسعير القوة الكهربائية

بقلم الاب يوسف بأنّيوا اليسوعي

استاذ الكهرباء في مكتب الهندسة الافرنسي

انها لمسألة وافرة الصعوبة مسألة تسعير القوة التي تولّدها شركات توزيع الكهرباء . لان ما في الامر من الدقائق والاعتبارات الثانوية ، التي قد تظهر دون اهمية لجمهرة الناس ، يؤثر في التسعير فيرفع سعر البيع لا ضعفاً او ضعفين فحسب ، بل عشرة اضعاف احياناً . ولهذا رأينا من المفيد ، في الظروف الحاضرة ، ان نلقي نظرة اجمالية على هذه المسألة المهمّة .

ولنلاحظ اولاً ان عوامل مختلفة ومتباينة تؤثر في تسعير القوة الكهربائية، واقرار ثمنها ؛ وهي ، على اختلافها ، ترجع الى امور اربعة :

١ — نفقات توليد القوة الكهربائية .

٢ — مراقبة السلطات العامّة .

٣ — مزاحمة الطرق الخاصة التي قد لا تكون كهربائية . فان الناس يمكنهم ان يستنيروا ، ويستدفئوا ، ويستمدّوا القوة بواسطة البترول[1] .

٤ — الرأي العام .

ولا يخفى ان اهم هذه العوامل ما يستلزمه توليد القوّة من النفقات ، وهو ما نختصّ بدرسه في مقالنا هذا . فضلًا عن كونه يؤلف حدًا ادنى لا يمكن تجاوزه في تسعير المبيع . وقد قصدته وحده ، عندما تكلمت عن الصعوبة الوافرة

---

١) وقد نشر مؤخراً السيد مارسل دي كونينك (M. Marcel de Coninck) ، في هذا الموضوع ، اعتبارات كثيرة الفائدة على غرابتها .

في درس هذه المسألة ، وذلك لما يتطلب تقدير هذه النفقات من الانتباه للعوامل المختلفة .

لنأخذ وحدة للقوّة الكهربائية الكيلووات المستهلك في الساعة (KWH) وهو ما يعادل تقريباً القوة الكافية لانارة قنديل ذي خمسين شمعة مدة عشرين ساعة متتابعة . فاذا اردنا تسعير نفقات هذه القوة ، لزمنا ان نعتبر ثلاثة عوامل او موادّ هي :

١ — نفقات الادارة .

٢ — فائدة الاموال المستعملة ، وقيمة استهلاك الآلات .

٣ — نفقات توليد القوة .

نفقات الادارة

لا يخفى انه يلزم الشركة عدد كبير من الموظفين والعمّال للقيام بجميع الاعمال الادارية كاستقبال المشتركين ، وقراءة العدّادات ، وفحصها ، ومراقبة الاعمال ، وتنظيم اللوائح ، وقبض المال ، وضبط الحسابات ، وعمل السجلات الى غير ذلك . . . ولربّ قارئ لا يتمعّن في الامر يقول : « كل هذا حسن ، فهو يعادل كذا وكذا في كل كيلووات مبيع ! » فنجيبه ان هذا التقدير على جانب من الخطأ ، ومن الحقّ والانصاف اصلاحه . فان نفقات الادارة لا تزيد او تنقص بزيادة البيع او نقصه ، بل هي ذاتها لكل مشترك ، سواء كان من كبار المستهلكين او ممن لا يستعملون الكهرباء الا في ساعات معدودة . اذ ان من يقرأ ٤٠٠٠ كيلووات على العدّاد لا يصرف وقتاً اطول من وقت من يقرأ كيلوواتاً واحداً او اثنين مثلاً . وعليه يجب ان توزّع هذه النفقات بالمساواة على جميع المشتركين مهما كان مقدار استهلاك كل منهم .

ولكن ، لمّا كانت العادة في تسعير القوة الكهربائية ان يقرّر السعر بثمن الكيلووات ، نرى الصعوبة ظاهرة في توزيع نفقات الادارة . فنجد ان المشترك الفقير الذي لا ينير الّا القنديل او القنديلين فلا يصرف الّا الكمية القليلة من القوة ، عليه ان يدفع ثمن الكيلووات غالياً جدّاً لانه يضاف اليه

نفقات الادارة التي ذكرناها والتي توزّع ، والحالة هذه ، على عدد قليل من الكيلوواتات. ولهذا يظهر سعر الكيلووات باهظاً لجمهرة الذين لا يتعمّقون في الامور على كونه عادلاً لما تقدم شرحه من الاسباب. وعلى المبدأ نفسه نجد ان المشترك الكبير الذي يستهلك الالوف من الكيلوواتات يشتري الكيلووات بارخص مما يشتريه الاول، لان نفقات الادارة توزّع على هذا العدد الكبير فلا تكاد تؤثّر في سعر الكهرباء الصرف. ومن المعلوم ان هذه القسمة لا تجري على كل كيلووات بمفرده ، لان هذا الامر من الصعوبة بمكان ، بل يُقسم المشتركون الى درجات مختلفة ، فيخفّف لهم سعر الكيلووات كلما زاد معدّل استهلاكهم . ولا يخفى ان المشترك البسيط الذي لا ينير الّا القنديل او القنديلين فلا يدفع الا بعض فرنكات بالشهر ، لا يفيد الشركات كثيراً . واذا طُبق عليه توزيع النفقات التي ذكرناها بكل انصاف ، فأضيف الى تعرفة ما يستهلكه من الكهرباء ما يعود عليها بحقّ من نفقات الادارة ، لعلا صياحه ، وترافع ضجيجه ، واعتقد انه مُجحف بحقّه . وعليه فان ما تقبضه الشركات من هذه الطبقة من المشتركين اقلّ من ان يفي بنفقاتها.

فائدة الاموال وقيمة استهلاك الالات

قد لزم الشركة ذات الامتياز ، في انشاء مؤسساتها ومعاملها ، ان تمدّ طول الشوارع خطوطاً الضخمة والدقيقة ، التي استهلكت الاطنان العديدة من النحاس ؛ فضلاً عمّا قامت به الشركة من النفقات الكثيرة. وقد دفعها كل هذا الى طلب رؤوس اموال من الاتحاف ان تدفع لاربابها الفائدة العادلة . ثم ان الآلات التي تستعملها ليست بخالدة ، فهي تخلق وترثّ شيئاً فشيئاً ، فيجب تجديدها المرّة بعد الاخرى . فان محركاً من نوع ديزل (*Diesel*) مثلاً يسير مدة ١٥ سنة ، فيكون الواجب على ادارة حكيمة ان توفّر كل سنة قيمة مفرزة حتى يمكنها تجديد المحرّك المذكور بعد تلك المدة ، دون استهلاك رأس مال جديد . فضلاً عن ان تقدّم الصناعة كثيراً ما يدفع الشركة الى تجديد بعض آلاتها قبل انتهاء عملها.

وهنا ايضاً ليس من العدل ان توزع هذه النفقات بطريقة متساوية على كل كيلووات بمفرده ، بصرف النظر عن مستهلكه وزمن استهلاكه . وهذا ما سيتضح للقارئ العزيز .

لنفتش اولاً عمّا يدفع الشركة الى تعيين القوّة في منشآتها . هل تستعمل آلات ذات ٥,٠٠٠ حصان ام ١٠,٠٠٠ ام ١٥,٠٠٠ ؟ ام ما فوق ذلك ؟ ولا يخفى ان فائدة الاموال وقيمة الاستهلاك تزيدان بزيادة هذه القوّة . كما انه لا يخفى ان مولّدات المركز الكهربائي لا تشتغل كلها ، دون توقف ، مدة اربع وعشرين ساعة في اليوم . فان هنالك من الاوقات ما يكون فيه استعمال الكهرباء قليلاً جداً ، مثل النصف الثاني من الليل ، او وقت فرصة الظهر مثلاً ، اذ يكون طلب المجرى الكهرباء بحكم العدم تقريباً . وبالعكس فان من الاوقات ما يكون فيه الطلب شديداً مثل وقت الغروب في الشتاء او نحو الساعة السابعة عشرة ، فان جميع القهاوي اذ ذاك ، والمنازل ، وواجهات المحلات ، والاعلانات المنوّرة ، كلها تتطلب المجرى الكهربائي بالحاح بينا تكون المعامل والقبارك لا تزال دائرة فتتطلب من جهتها ايضاً القوّة المحركة اللازمة لآلاتها . وعليه فتكون المولدات في المركز على ازيد ما يكون من الحركة . وان الكمية المطلوبة في هذه الساعات من النهار وهي اقصى ما يصل اليه الطلب ، هي التي تدفع الشركة لتعيين قوة منشآتها فتجعل حدّها الادنى كافياً لتلبية الطلب المذكور . وهذه الساعات تدعى ، بلغة تلك الصناعة ، الساعات الدقيقة (*heure de pointe*) مقابلة بالوقت الذي لا يكاد احد يطلب فيه المجرى الكهربائي ، والذي يدعونه الساعات الفارغة او الجوفاء (*heures creuses*) .

ولنفرض الآن اثنين من المشتركين يطلب اولهما كمية كبيرة من الكهرباء يستعملها في الساعات الدقيقة . فيجب على الشركة ، والحالة هذه ، ان تلبي طلبه مها كلفها الامر فتزيد عدد مولداتها ، منفقة في ذلك زيادة في رأس المال المستعمل ، على كون هذه المولدات الجديدة لا تفيد الا المشترك المذكور فتدور ساعات قليلة كل يوم . اما الثاني فيطلب من الشركة كمية كبيرة كذلك ، ولكنه يستعملها لتعبئة خزاناته ، في النصف الثاني من الليل ، اي في تلك

الساعات الجوفاء التي تقف فيها آلات المركز او تدور على غير فائدة. فيكون طلبه فرصة مناسبة للشركة فتزيد ارباحها ، دون ان تغيّر شيئاً مهماً في آلاتها ولا في تنظيم ادارتها .

واذن فيكون من العدل والانصاف ان يضاف فائدة المال المستعمل وقيمة الاستهلاك على ما يدفعه المشترك الاول دون المشترك الثاني .

واذن فان المادّة الثانية من الموادّ التي يجب النظر فيها لتسعير القوة الكهربائية ، لا يمكن توزيعها متساوية على كل كيلووات ، ولكن يجب الانتباه في ذلك الى ترتيب الاستهلاك وساعته اي الى زمن الاستهلاك .ولا يظن المطالع ان هذه التغييرات لا تؤثر الاثر المهمّ في الاسعار فان المشترك الذي يستهلك كمية عظيمة في الساعات الجوفاء قد يدفع احياناً ، عن ثمن الكيلووات، عشر ما يدفعه المشترك الذي يستهلك كمية قليلة في الساعات الدقيقة او اقل من العشر . اما كيف تميّز هذه الفروق فان الشركات تستعمل عدّادات مخصوصة ذات تعرفتين او ثلاث ينظر فيها الى عامل « الزمن » المشروح اعلاه . وتتغيّر طريقة التأثير في الوقت المطلوب اما بواسطة ساعة موضوعة ضمن العدّاد او بواسطة تموّجات يرسلها المركز الكهربائي ¹ وهي طريقة حديثة للتأثير عن بعد خاصة بشركة عمل العدّادات ¹.

نفقات توليد القوة

وهي تشمل ثمن الوَقود ، والزيت ، ونفقات الموظفين الفنيين ، والسهر على الآلات . وكلها تتناسب مع القوة وتوزّع متساوية على كل كيلووات ، الّا الحِمل الذي يُخصّ به من يستهلك كمية كبيرة من المجرى . لانه اصبح في حكم المقرّر اليوم ان نفقات توليد الكهربا، تقلّ كلما ازدادت اهمية المركز الكهربائي .

وانه من السذاجة بمكان ان نعتقد ان نفقات التوليد تؤلف القسم الاهم في سعر الكيلووات . فقد ظهر ، من لائحة نشرها السيد دروَن (Drouin) وهو من اشهر الاختصاصيين في مسألة المراكز الكهربائية ، ان نفقات توليد

الكهرباء في المعامل التي قوتها نحو ٨,٠٠٠ حصان لا تتجاوز قيمة غرش سوري واحد في الكيلووات بالساعة، وكثيراً ما تنحط عن ذلك. واذن فان ما يؤثر في ثمن الكيلووات بالساعة فيزيده، هو المادة الاولى من التسعير، وخصوصاً الثانية وهي فائدة المال وقيمة الاستهلاك.

هذه اهم العوامل التي تؤثر في تسعير القوة الكهربائية، واليها يجب النظر في كل مسألة من هذا النوع . ولكن كيف يمكن تطبيقها عملياً ؟

ان الغاية المتوخاة، او المثل الاعلى في ذلك، ان تكون اللائحة المطلوب دفعها محتوية على معادلة مثلثة تعين قيمة كل من العوامل الثلاثة في ثمن الكيلووات بالساعة في شهر مفروض، فتظهر على الوجه التالي :

ثمن الكيلووات بالساعة = نفقات الادارة (كذا) + فائدة الاستهلاك (كذا) + نفقات التوليد (كذا)

ولكن هذه الطريقة من الغرابة بحيث لا يُتصوّر امكان القيام بها . وكم من الوقت الثمين يُضاع في تحقيق اجزائها ؟ وكم من الاحتجاجات يرفع المستهلكون على استعمالها ؟ فضلاً عن انه يلزم لفهمها وادراك قيمة العوامل فيها ان يحضر جميع المشتركين دروساً ليلية في الموضوع مدة ثلاثة اشهر

وعليه يجب التسهيل والاختصار . فيبدأ أولاً بوضع فرق بيّن بين التنوير والقوّة المحرّكة . فان التنوير يطاب خصوصاً في الساعات الدقيقة ويتطلب قليلاً من القوّة . فيمكن رفع تسعيره مع الاحتفاظ بالحلم لكبار المستهلكين . اما القوة المحرّكة فتستعمل خصوصاً بالنهار وبنظام معروف، فضلاً عن كونها تستهلك كثيراً من الكهرباء . واذن فمن الحقّ ان يجعل سعرها اخفّ من سعر النور بكثير

ولكن كيف يمكن تمييز استهلاك الكهرباء للنور من استهلاكها للحركة ؟ في زمن مضى كانوا يحملون المستهلك على انشاء مجريَين مختلفين واستعمال عدّادين ايضاً : واحد للنور، وآخر للقوة المحرّكة . اما اليوم فاصبح من المضحكات الاخذ بمثل هذا الاسلوب المتأخر .

ولذا قام بعض المهندسين باعمال مراقبة واحصاء دقيقة في جميع الاوساط

مكنتهم من تقدير الاستهلاك النوري في منزل معروفة اهميته ومساحته وعدد غرفه ، في فصل من السنة معروف ايضاً . وعليه غدا من السهل ان يقدّر الانسان قيمة استهلاك النور على كمية الاستهلاك الاجمالية ، فيعرف ما يدفع على سعر التعرفة الاولى ، وما يدفع على سعر التعرفة الثانية. وفضلاً عن ذلك يمكن المستهلك ان يستعمل عدّاداً ذا ثلاث تعرفات ، فيستفيد من جميع التسهيلات .

وقد نشر مؤخراً السيد ماليغاري (Mr Malegarie) مدير الشركة الباريسية لتوزيع الكهرباء المعروفة بشركة C. P. D. E. احصائيات مهمة مكنته من تنظيم التسعير المتعدّد المطبّق حالياً في تلك المدينة ، حيث يدفع المشترك نحو ١٠ غروش لبنانية سورية ثمن الكيلووات المستعمل للنور ، ونحو ٥ غروش ثمن الكيلووات المستعمل لسائر الحاجات (كمراوح الهواء ، والمكاوى ، وغيرها من الادوات المنزلية)، ويدفع غرشاً ونصف الغرش ثمن الكيلووات المستهلك في الساعات الجوفاء.

وغني عن البيان اننا نشر هذه الارقام على طريقة التمثل والاستشهاد ليس غير ، مشيرين الى ان توزيع الكهرباء في باريس من السعة والانتشار بحيث يمكن لشركتها ان تنزل اسعارها . وهو ما لا تتمكن منه المدن الصغيرة او التي لا يكون فيها التوزيع على غاية الاتساع.

وقد رأينا نشر هذه المعلومات لنساعد قرّاءنا الكرام على ان يتجنبوا تعميم بعض ما يسمعون من الاقوال والاحكام تعميماً يجحف دون شك بالحق والانصاف .

لبناني مجهول

الاخ ساروفيم ڤكتور (١٨٧٩–١٩٢٢)

من اخوة المدارس المسيحية «الفرير»

بقلم ا. م. ب.

١

مقدمة

سماء شرقنا العزيز سماء رائعة الجمال، صافية الاديم، كأنها مرآة تنعكس فيها متجليةً كمالاتُ الحق سبحانه في خلائقه. بهاء نور الشمس، ونقاوة اديم السماء، واعتدال الطقس، وصفاء الليالي المقمرة المرصعة بما لا يُحصى من النجوم والكواكب... تجعل لشرقنا العزيز قيمة لا نقدرها قدرها، ما لم ننأ عنه مرغمين او مختارين.

هذا واذا انتبهنا لما ثبت من تأثير احوال البلاد في نبوغ اهلها، رأينا هذا التأثير بالغاً شأوه في وطنيينا اللبنانيين، اذ نبغ منهم في كل عصر من يفتخر بهم ويهتدى بهديهم من رجال سيف وقلم وسياسة وادارة وصناعة وتجارة.

لكنَّ هناك فئة من اللبنانيين لم يُبعثوا من زوايا النسيان. ولا غروَ، فانهم قضوا حياةً خفية، على مثال مخلّص البشر فادينا الالهي، ولاسيما من كان منهم قد انضووا تحت لواء رهبانية أجنبية المنشأ. فعُرفوا كأجانب بلباسهم وظواهرهم، فظلّوا مجهولين.

ومن هؤلاء الافاضل المجهولين: رشيد بن يوسف عطاالله، او الاخ ساروفيم ڤكتور من اخوة المدارس المسيحية. فقد أحببت، بداعي المحبة وعرفان الجميل، ان اقدمه مثال صلاح واجتهاد، لابناء وطنه الكرام بنوع خاص، وللناطقين بالضاد باسرهم، وقدوة للاساتذة والمهذّبين ومحبي اللغة العربية والمعجبين بها.

حياته

اصل اسرته

عائلة عطاالله شوفية لبنانية محضة . ووالدا الاخ ساروفيم ، يوسف عطاالله وروجينا نصرالله ، من قرية عين كسور بالقرب من عبيه . وهناك بين الخضرة والمناظر الجميلة التي يمتدُّ النظر فيها الى البحر وبيروت عاصمة لبنان ، وسهل خلدة والدامور حتى صيدا ، هناك رأى النور رشيد بن يوسف عطاالله سنة ١٨٧٩ . وسكان عين كسور وعبيه ، مزيج من النصارى والدروز ، وقد اشتهروا بالاتفاق التام والوئام المتواصل .

وفي عبيه ، على الرغم من وجود مدرسة الاميركان ، لم يرسل والدا رشيد كبيرهما الا الى المدرسة الكاثوليكية ، حرصاً على ايمان حبيبهما ورغبة منهما في حفظه بقربهما نظرًا لقرب المدرسة من البيت .

ولسبب نجهله ، هبط رشيد مع أسرته سنة ١٨٩٢ الى بيروت ، مدينة العلم ، وميدان العمل الفسيح ، اذ ذاك كما هي اليوم . وهنا اتسع المجال للفتى رشيد ، فنال ما كان يتمنّاه من السهولة في اكتساب العلوم والتدرُّب على الفضيلة .

فتوته (١٨٩٢ — ١٨٩٤)

ويظهر ان رغبة رشيد في احراز العلم كانت من جملة الاسباب التي حدت بالوالدين الى استيطان بيروت ، غير حاسبين للنفقات والاغتراب عن القرية المحبوبة حساباً . اذ لم يبلغوا المدينة الّا سعيا له في مدرسة خليقة بذكائه واجتهاده ، بها يتمّ لهما ما علّقاه من الآمال على فلذة كبدهما . فلم يجدا اقرب الى رغائبهما من مدرسة جمعية القديس منصور دي بول الخيرية ، القائم بادارتها اخوة المدارس المسيحية ، الذين عُرفوا بالغيرة والمقدرة على تهذيب الاحداث ، وحسن الاسلوب في تلقين العلوم .

في بيروت

دخل رشيد المدرسة برغبة ونشاط ، ممزوجين برهبة وحياء ، شان الصغار الذين لم يروا بعد الا مدرسة القرية بحجرتها الوحيدة ، او سنديانة القرية وظلها الوارف. فهاله عدد التلامذة وكثرة الصفوف . لكنّ ثوب الاساتذة ولطفهم ، والنظام والسكون السائدين ، أثّرت في نفسه ، وازالت عنه الاضطراب.

وكان ما تعلّمه من العربية كافياً للفت الانظار اليه ، لحسن القائه وسرعة خاطره ، ورنّة صوته العذبة ، والوقار الممزوج بشيء من التصنّع ، البادية آثاره في شخصه . لكنه كان مقصرًا باللغة الافرنسية ، لا يكاد يفهم ما يُقال له . أما ما اتصف به من العزم والنشاط فذلّل امامه كل الصعاب . فسار في دروسه احسن سير . فقوّم بزمن يسير ما اعوجّ من لفظه في الافرنسية حتى أصبح ينطق بها كأحد ابنائها الخلصاء ، وكثيرًا ما ظنّه الافرنسيون أحد مواطنيهم .

الدعوة الالهية

وسرعان ما ادرك الفتى رشيد ، بذكائه الحادّ ، أنه لم يُخلق لامور هذه الدنيا ، لشدّة كرهه لملذاتها الزائلة ، وميله الشديد للتقوى واعمال البرّ ، وخوفه من المهاوي واسباب الفساد التي كان يشاهدها كل يوم ، ولا سيما ما رآه في اساتذته الاخوة الافاضل من الغيرة والصلاح ، وتقديره عملهم التهذيبي الشاق حقّ قدره . فلذا أخذ يسير سيرة مثلى ويطيل صلواته ويمارس الاسرار بتواتر . واخيرًا بعد استشارة الرب في داخله واصغائه لصوته تعالى يدعوه كصموئيل في الهيكل ، ليتكرس له وحده ، توسّل الى استاذه ان يسهّل له سبيل الانضمام الى الرهبانية التي كانت تزداد قدرا في عينيه .

فاكبر والد رشيد الامر وظهر استياءه ، وتصلّب بعدم السماح له وحاولت الوالدة صده بدموعها وبكلامها الممزوج بالتوبيخ ، ناسبة اليه قساوة القلب وعدم حبه لوالديه ، اذ آثر الابتعاد عنهما على السكنى مع مصدر حياته ، وأحب الناس اليه . وثار ثائر الوالدين لمجرد الفكر انه ستفلت تلك الدرّة

الشينة من ايديها ، ويخبرانه ، على زعمها ، خسراناً ابدياً .

لكنه فات الوالدة الحبيبة ان الله أولى أن يُطاع ، وانه تعالى مالك مقاليد القلوب . . . واخيراً غلب الايمان الحيّ ، الحب الوالدي ، وحنى والدا رشيد الرأس امام المشيئة الالهية الداعية . وبدا ذلك يحق شرفاً لهما وواجباً يقتضي القيام به . فسافر رشيد الى بيت لحم ، حيث هو دير ابتداء الاخوة ، وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره .

الراهب

كلمة راهب مشتقة في لغتنا العربيــة من رَهِبَ اي خاف وتخشّع . وفي اللغات الاوربية المشتقّة من اللاتينيــة تفيد الاعتصام والاتحاد (relier) . اذ ان كليهما يدلّ على التشبُّث والارتباط . وان الرهبة ، ولاسيما الرهبة البنوية الصادرة عن الحبّ وتحاشي مـا لا يروق المحبوب ، توثّق عرى المحبة وتفيــد الاتحاد . وهذه هي لا سواها ، تلك الرهبــة التي يسير بحسبها الذين تكرسوا لخدمة الله في الرهبانية .

وما اسخف ما يتشدّق به البعض من ان الانضواء تحت لواء القانون الرهباني المقدس والصارم ، متسبّب عن احتياج أو هرب من الفقر وطلب للراحة وعيشة الكسل المقوت . وانا لا اعرف أحداً يتعصب ويتهيب اكثر من الرهبان ، ويشهد بذلك كل عاقل خبير .

فرشيد عطاالله لم يكن مُعوزاً ، ولا محتاجاً الى الالتجاء الى دير ليعيش فيه . بل بعكس ذلك ، كان يرى الدنيا تبسم له وتبشره بمستقبل يُحسد عليه . لكنه أنصت الى التعاليم الالهية الخفية ، التي كانت تناجي نفسه . فلبى النداء الالهي ، وهو غير جاهل ان الراهب ، ولاسيما الصالح ، هدف لنبال من لم يُعطَ لهم ان يدركوا اسرار النعمة الالهية . فكلهم عيون عليه يحصون خطاه اذا زلّ ، او خيل لهم انه زلّ ، ويغمطون حقه من الثناء مهما احسن العمل . وما ذلك سوى تدبير ابليس بقصد جذب الراهب الى العودة الى عالم الاباطيل وصدّه عن مواصلة السير في سبيل النعيم الدائم . . .

وعلى كل فالراهب شهيد. واستشهاده، وان بطيئاً، فهو أليم طويل المدى...
وقد دُعي رشيد عطا الله للسلوك في منهج هذا الاستشهاد في الحياة الرهبانية، فكان شهيد الواجب، والطاعة المذلّة للكبرياء، شهيد العفّة الملائكية !! وقلَّ من يفقه معنى هذا التبتّل ان لم يكن فيه روح الـه الطهر، وعفاف سلطانة البتولين مريم ام الله، شهيد الفقر الاختياري، والازعاج الناتج عن العجز عن التصرُّف بما يشاء وكما يشاء؛ وبكلمة جامعة شهيد الامانة على النذور التي ابرزها.

عرفت الاخ ساروفيم سنين عديدة، وكنّا اذ ذاك في ربيع الحياة، وميعة الشباب. فتعلّمت منه، رحمه الله، معنى العفاف رغم هيجان الاهواء، ومعنى الطهر إبّان معركة تجارب هذا العالم الفاسد... فكان مُحلّقاً في عالم الارواح والطهارة البتولية، مثابراً على الجهاد الروحي، الذي تترامى امامه الضحايا العديدة، جُبناً وضعفاً. ومن كانت نفسه تفيض طهراً، ويضوع عطر عفافه شذى طيباً، لا يقوى الا ان يُشرك بكنزه الآخرين. فلذا نرى الاخ ساروفيم يكتب في جملة النصائح للعطلة المدرسية:

« اياك والكتب الرديئة فهي آفة العقل والقلب. اياك والاصحاب الاردياء فانهم رُسُل الشيطان. لا تنم وضميرك ملطّخ بخطيئة. قبل النوم افحص ضميرك واندم على سيئاتك. أذكر انك دائماً في حضرة الله، فاياك ان تهين جلاله المقدسة بارتكابك الخطيئة... »

وحتى يومنا هذا لم يزل تلامذته، وهم كثيرون، ولا سيما الذين كانوا منتمين الى اخوية العذراء، التي كان هو رحمه الله مدبرها، يسمعون من صوته الرنّان الرصين ما كان يردّده عليهم: كونوا اعفاء تكونوا اقوياء وشرفاء وتُسعدوا وايضاً: من كان له الربّ حارساً فعبثاً تحيق به الشرور، وتساوره جيوش البلاء، لانه على صخرة لا يتزعزع وفي معقل لا يطمع به طامع..

في بيت لحم

اسم عذب على قلب كل مسيحي ، يُنتقل بالفكر ، عند ذكره ، الى تلك البقعة المباركة ، مهد الديانة وأقدس الارضين . بيت لحم الجميلة ، والطيبة المناخ ، قائمة على منحدر اكمة تعلو عن سطح البحر ٨٣٠ متراً .

يرى الوافد اليها من القدس ، بناء مستطيلاً في اعلاها ، ينتهي بما يشبه فُلكاً ، هو كنيسة مركز شركة الطفل يسوع الرئيسية ، والبناء هو دير ابتداء اخوة المدارس المسيحية ، تحيط به روضة غنّاء ، تُطلُّ على جبال فلسطين وشرقي الاردن ، وبحيرة لوط او البحر الميت ، وآكام بادية التيه اي طريق مصر ... وقد نُصب منذ قليل تمثال الطفل يسوع فوق برج يعلو ٢٤ متراً عن سطح الارض ، فيُرى بلونه الذهبي كمنارة تُرشد الوافدين الى مدينة داود.

بنى هذا المعهد المرحوم الاخ ايڤكر (Fr. Evagre) ذاك الشيخ الباسم ، والافرنسي الشرقي ، لا بل الفلسطيني اللبناني ، الذي أحبّ شبيبة بلادنا وطقوسنا الشرقية الجميلة الى حد انه كان يتعصّب لها ، ويعدُّ المتعدين على عوائدها وتقاليدها وحقوقها ، لصوصاً اغبياء ، حتى ولو كانوا من بني قومه.

هناك في بيت لحم ، استقبل الاخ ايڤكر الفتى رشيد عطا الله ، وكان له كما كان لكلّ من تثقفوا في ذلك المعهد ، أباً حنوناً ، يُعنى او يعزي المبتدئين الجدد عن حنان الوالدة الحبيبة . فيعطف على الصغير ويتبناه ؛ « اذ من دأب الشيخوخة ان تحنو على الطفولة ، لانها ترى ذاتها ، بانعكاس نور الحداثة ، فكأنها عادت هنيهة الى سالف عهد محبوب »

(له صلة)

السمنتو اللبناني

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

نظرة فنية

١ كيفية استحضار السمنتو

قلنا ، في مقالنا الاول ، ان السمنتو اجزاء متناسبة من المدر او التربة الدلغانية والتربة الكلسية ، والنسبة العادية ٢٢ جزءا من الاولى الى ٧٨ من الثانية . فالارض الواقعة في جنوبي شكا ، والخاصة بشركة السمنتو اللبناني ، هي مزيج من هاتين المادتين بنسبة ٣٠ الى ٧٠ تقريباً ، يُعرف في علم الجيولوجيا « بالمارن » . فلو استعملت تلك المادة على ما هي لجاءت بالسمنتو المسمّى « بالطبيعي » ، لا بالسمنتو المعروف او « الاصطناعي » . لذلك وجب خلطها باللازم من التربة الكلسية ، وهذا سهل لوجود ارض ثانية ، شرقي المعمل ، كلسية محضة .

ويُجرى مزيج التربتين اما بالطريقة الناشفة ، واما بالطريقة المبلّلة . فالاولى تحول كلّا من المواد الاولية دقيقاً ناعماً ، يُمزج جيدًا ثم يُشوى في الافران المخصوصة . والثانية تُذوّب المدَر ، اي « الدلغان » ، في الماء ليدير وحلًا رائباً ، ثم يُسحق مع اللازم من الاحجار الكلسية فيخرج معجوناً ناعماً يُرسل الى الافران . وتُفضّلُ اليوم الطريقة الثانية ، وان استلزمت زيادةً في المحروق ، لانسجام ما تأتي به من السمنتو .

المادة المدرية

يُعمل السيمنتو في شكا بالطريقة المبلّلة ، بان يستورد « المارن » من الجبل الجنوبي ، على مسافة كيلومترين تقريباً ، بواسطة « الكميونات » السيّارة وقد بلغ ما يُستورد الآن في كل يوم ٣٠ كميوناً ، اي ما يوازي ١٥٠ متراً مكعباً.

تصل العجلات السيّارة من المقلع بطريق مخصوصة في الجبل ، ثمّ بطريق بيروت - طرابلس ، فتفرّغ محمولها في حوضين واسعين يُعرفان بالمروب (*délayeurs*) ، قطر الواحد منها ستة امتار. ثم يُضاف الى « المارن » ٢٥ بالمائة تقريباً من الماء ، ويُحرّك بمحراث ذي اسنان ، يدور حول محور عمودي ، فيروب المدر وما معه من الكلس ، وترسب باقي المواد كالصوّان فتستخرج من حين الى حين بواسطة الناعورة ويُرى في الرسم ١ ، الى يمين الطريق ، الخيمة المظلّلة « للمروب »

تُرفع الروبة بمضخات مخصوصة الى حوض يملأ « مسحقة دوارة » (*broyeur rotatif*) قرب كير جامع للحجارة الكلسية . ثم تُنزل كلتا المادتين في المسحقة ، بعد تعديل نسبتهما ، فتخرج معجوناً ناعماً ، تُعدّل نسبته ثانية اما باضافة معجون كلسي ، واماً بزيادة روبة دلغانية . وبعده يُرسل ذلك المعجون الى ستة احواض من السيمنتو ، قطرُ الواحد منها ستة امتار ، وعمقه احد عشر متراً ، فيبقى فيها ، قبل انزاله في الفرن ، ريثما يحلّل كيماوياً لتعديل نسبة المدر الى الكلس مرة ثالثة.

امّا ما تستهلكه « المسحقة » من القوة فهو ٣٢٥ حصاناً

المادة الكلسية

تستخرج تلك المادة من المقالع ، شرقي المعمل ، على مسافة ٤٠٠ متر تقريباً ، بشبه حجارة بيضاء تنقلها العجلات الحديدية الى « المكسرة » (*concasseur*) (انظر الرسم ٢) ، فتحولها حجارة صغيرة ، تُنقل الى المعمل على حبل جرّار (*câble téléférique*) وهو حبلٌ من الفولاذ ، موصول الطرفين ، ممدود بين المقلع والمعمل ، على بكرات دوّارة ، فوق اعمدة مخصوصة. ويلف

هذا الحبل على خنزيرة ، في المقلع ، اذا دارت ، مشى الخطُّ كلـه على ذاته بسرعة مترين ونصف في الثانية.

تُعلّق في الحبل عجلات الكثير من الاحجار ، واحدة كل خمسين متراً ، كما يُرى في الرسم ٣ ، فاذا وصلت الى المعمل ، انقلبت لـذاتها فوق كير « المسحقة » ، ثم عادت الى المقالع ، بحركة الحبل الدائمة ، فملئت ثانياً وهلم جرّاً . . .

وقد بلغ ما يُستخرج من الكلس ، بهذه الطريقة ، ٧٥ متراً مكعباً في اليوم اي ما يقابل المائة عجلة . وهذه الكمية موازنة لما يُستخرج من المارن.

والمدهش في ذلك حركة الحبل « الجرّار » خصوصاً وان قوته زهيـدة لا تتجاوز الثلاثين حصاناً .

الفرن الدوّار (*Four rotatif*)

وقبل انزال المعجون المخزون في الاحواض الى الفرن ، يُرسل اليه ، من اسفل الحوض ، تيّار من الهواء المضغوط فيمزجـه جيداً ثم يؤخذ منه انموذج يُحلّل كيماوياً لمعرفة نسبة الكلس الى المدر ، فان نقص شيء من احدى هاتين المادتين اضيفَ اليـه وارسل المعجون الى الفرن الـدوّار كي يخرج منه « تربة اصطناعية ».

ويُرى الفرن ، في الرسم ٤ ، بشكل انبوبة ضخمة من الصفائح الحديدية ، مرتكزة على كُلل فولاذية تدور فوقها . وطولُ الفرن هذا ٦٢ متراً ، يديره محرك كهربائي قوتـه ٤٠ حصاناً ، بواسطة اضراس فولاذية لتخفيض عـدد دوراته من سرعة ١٤٠٠ الى سرعة ٤٠ دورة في الدقيقة.

اما داخل الفرن فملبسٌ بالقرميد الناري ، لخزن الحرارة فيه . وطريقـة تحميته بان يُرسل من اسفله غبـار من الفحم الحجري ، يطـيّره ، بعيداً في الفرن ، تيّارٌ من الهواء تقذف به مروحة مخصوصة . وقصـد استعمال الهواء ليس ارسال الغبار فقط ، بل سهولة اشتعال الفحم ايضاً ، اذ ان الاشتعـال ، كما لا يخفى ، لا يتم الا بوجود الاوكسيجين وهذا مكوّن للهواء.

يحترق التيّار الفحمي ضمن الفرن ، من اسفل الى اعلى ، ثم يخرج في ١٣

غرفة تعرف « بغرف الغبار » ، يترك فيها ما يطيره من السيمنتو ، فيبقى دخاناً يخرج في المدخنة . ويسهل صعود الدخان في المدخنة بواسطة مروحة قوتها ٨٠ حصاناً .

مسحنة الفحم (Pulvérisateur à charbon)

اما الفحم اللازم، وكميته تعادل العشرين والثلاثين بالمائة من كمية السيمنتو المستخرجة ، فيستورد بطريق البحر ، ويُخزن في رواق مخصوص . ويُحصل عليه دقيقاً ناعماً بواسطة « المسحنة » ، بعد ان يكون قد فقد رطوبته ضمن آلة منشفة ، وقوة المسحنة هذه ٦٥ حصاناً .

مبرّدة السيمنتو (refroidisseur)

واذا رجعنا الى معجون السيمنتو ، وتبعنا سيره في الفرن ، رأيناه يتقدم رويداً رويداً بحركة البرم ، وانحدار الفرن ، فترتفع حرارته ، فينشف ثم يزيد حماوةً الى ان يبدأ بنوع من الذوبان فيتحول « ترابةً اصطناعية » . وقد تبلغ حرارته ، اذ ذاك ، نحو الالفي درجة سنتغراد . . ولا يجوز استخراجه من الفرن على تلك الحالة ، بل يجب تخفيض حرارته نوعاً ضمن « المبردة » وهذه كناية عن انبوبة ثانية ، طولها ثمانية امتار ، ملاصقة للفرن ، يخرج فيها السيمنتو فيبرد .

مسحقة السيمنتو (Broyeur à ciment)

يخرج السيمنتو من المبرّدة بشكل احجار ، رمادية اللون ، تعرف « بالكلنكر » (clinkers) ، فيأخذها « جسر سيّار » (pont roulant) فينشرها في باحة فسيحة ، حتى اذا بردت ، اخذها ثانية وجعلها في كير المسحقة ، فيضاف اليها ٢ او ٣ بالمائة من الجصّ (الجفصين) ثم تسحق فتخرج « ترابة اصطناعية » تُخزن في احواض مخصوصة او تعبأ في الاكياس . امّا قوة المسحقة فتقارب الاربعمائة والخمسين حصاناً .

الجسر السيار

يسير هذا الجسر على خط حديدي فوق قناطر باحة « الكلنكر » ، غربي الفرن . ويبلغ طوله عشرين متراً ، ومحموله ٣٠٠٠ كيلو ، وقوته ٨٠ حصاناً .

يسير بقوة السيار الكهربائي بسرعة مترين ونصف في الثانية اي تسع كيلومترات في الساعة .

٢ توابع المعمل

وخلا ما جيء على ذكره من الآلات ، ففي المعمل ابنية وآلات شتى زادت باكلاف المشروع ، نكتفي بتعداد البعض منها :

المكتب والادارة

يرى الداخل الى معمل السيمنتو اللبناني بنايةً للحاجب لجهة الجنوب ، وتجاهها الادارة ، وفيها غرفة لرئيس المحاسبة ، واخرى للمحاسبين . وغرفة للمدير الثاني ، وغرفة المختبر الكيماوي .

بنايات السكن

وقد بني ، تجاه المعمل من عن يمين طريق العربات ، منزلان للسكن . الاول للمدير الثاني وعائلته ، والثاني للمهندس الكيماوي .

احواض الماء

ولما كان الماء المساعدَ الذي لا غنى عنه في عمل السيمنتو فقد بني له حوضان عاليان سعة الاول ٠ائة متر مكعب ، تستخدم مياهه لتذويب المدر ، وتبريد الآلات ، وسعة الثاني ثلاثون متراً مكعباً يُملأ بمياه الشرب فتوزّع في مختلف الابنية . وتؤخذ تلك المياه من ينبوع يسيل ضمن المعمل فترفع الى الحاووز بواسطة مضخة كهربائية . اما مياه العمل فتستقى من النهر . ويرى في الرسم ٣ ، على اعمدة عالية من السيمنتو ، الحوض الاول وتحته الثاني .

الرصيف (*Jetée*)

وقد اضطرت الشركة الى بناء مرسى ، يتقدّم في البحر طويلاً ، تسهيلاً لشحن الصادر ، وتفريغ الوارد من الفحم والجصّ وغيرهما .

مراكز التحويل الكهربائية

ويرى في الرسم ٥ بناية لتحويل المجرى الكهربائي اللازم من توتر ٣٥٠٠٠

ڤولت الى توتر ٣٠٠٠ ڤولت . وقد اقيم ايضاً بناية ثانية لتحويل قسم من القوة من توتر ٣٠٠٠ ڤولت الى ٣٨٠ او ١١٠ لادارة المحركات الصغيرة والانارة .

مركز التصليح (atelier)

ولم تغفل الشركة بناء مركز التصليح ، غربي المعمل ، جهَّزته باحدث الماكينات منها مخرطة للحديد طولها ستة امتار ، ومخارط صغيرة شتى، ومقدحة باعها متر ونيف ، ومقشطة بطول ٢٣٠ سنتيمترًا الخ . . تدور كلها بواسطة محرك كهربائي قوته ٣٠ حصانًا .

المخزن

ولا يجوز ان ننسى مخزن المعدات وراء مركز التصليح وفيه كل ما يحتاج اليه من محركات ، ومحولات كهربائية ، وشريط فولاذي او نحاسي ، وحدائد وغيرها . ولقد عجبت لمّا اخبرني السيد شكس ، مدير المعمل ، ان قسماً من المحركات الكهربائية التي في المخزن ، أرسلت الى الشركة بدون ثمن كضمانة على المحركات المشتراة والمجهزة بها آلات المعمل . وتبقى تلك المحركات تحت تصرف الشركة مدة الضمانة بكاملها اي سنتين . وهذا الشرط مما يرفع من سمعة البائع ، اذ يدلّ على ثقته التامة بجودة بضاعته .

***

ولا نغالي اذا قلنا أنَّ كلَّ تلك الاعمال كلّفت الشركة نفقات فادحة . يشهد بذلك ما لاقاه المهندسون من الصعوبات عند تحقيق الاعمال . فقد عثروا ، في حفر اساس الابنية ، خصوصاً في القطعة الغربية ، على ارض كثيرة المياه ، قليلة القوة . فاضطروا الى البناء على « الاوتاد » (*pilotis*) بان تُغرز في الارض ، الى ان تصل الى الارض اليابسة ، اعمدة من البطون المسلّح طولها اربعة امتار او اكثر وقطرها ثلاثون سنتيمترًا . وطريقة غرز الاوتاد ان يُضرب على رأسها ، بواسطة ثقل من الحديد وزنه الفا كيلو ، يقع عليها من علٍ . ورفع الثقل يُجرى بقوة البخار ، فوق مشنقة من الخشب تعرف بالمقصلة (*guillotine*) ترى في الرسم ٦ .

***

٣ القوة الكهربائية

يُستنتج مما ورد عظم مقدار ما يحتاج اليـه معمل السيمنتو من القوة ، اذ ان مجموعها يناهز الالف والمئتي حصان ، كما هو مبيّن ادناه :

محرّكات « الروبّ »	٣٠ حصاناً	(تقريباً)
محرّك المسحنة	٣٢٥	
« المسحنة للفحم	٦٥	
« الفرن الدوار	٤٠	
« المبرّدة	٤٥	
« مروحة المدخنة	٨٠	
« المسحنة للسيمنتو	٤٢٥	
« الجسر السيّار	٨٠	
« مركز التصليح	٣٠	
« الحبل الجرّار	٣٠	(تقريباً)
المجموع	١١٥٠ حصاناً	

هذا عدا محرّكات المضخّات للماء ونقل الروبة الداخلية ، ومحرّكات الهواء المضغوط ، ومحرّك المكسّرة في المقلع. وعدا القوة الكهربائية المستعملة للتنوير. ويزيد هذا العدد طبعاً عندما توسّع دائرة اعمـال المعمل بزيادة فرن ثانٍ قرب الاول ، كما هو مأمول ؛ فيصبح منتوج السيمنتو في كل سنـة ١٢٠ الف طن عوضاً عن الستين الفاً . . وعلى كل فان ما يحتاج اليه المعمل حاليًا يناهز ، في بعض الساعات ، الاثني عشر الف حصان !

* * *

تستمدُّ تلك القوة كلها من مركز نهر ابو علي ، بشكل مجرى كهربائي ذي ٣٥٠٠٠ ڤولت ، تنقله الاسلاك الكهربائية الممدودة بين المركز والمعمل فوق اعمدة من البطون . يصل التيّار الكهربائي من عن يمين الرسم ٥ الى « مركز التحويل » وهو مجهز باللازم لوقاية الاشخاص والآلات من خط المجرى والصواعق. فيه محوّلان قوة كل واحد منها ١٢٠٠٠ كيلو ڤولت امپار اي اثنـا عشر الف

حصان تقريباً . وقلّ ما يُستعمل المحوّلان معاً فيبقى احدهما لوقت الحاجة ، فيما لو تعطّل الاول بحادث ما. ويكون التحويل ، كما رأينا ، من توتر ٣٥٠٠٠ ڤولت الى توتر ٣٠٠٠ ڤولت يُستعمل لادارة المحركات الضخمة ، بواسطة حبال كهربائية ، قويّة الغلاف ، مدفونة في الارض.

اما مركز التحويل الثاني فيحتوي على محوّلين من ٣٠٠٠ الى ٣٨٠ ڤولت، قوة الواحد منهما ٥٠٠ كيلو ڤولت امپار ، يستخدمان لادارة المحركات الصغيرة. وفيه ايضاً محوّلان صغيران ٢٠ كيلو ڤولت امپار يستخدمان للانارة بتحويل المجرى من ٣٠٠٠ الى ١١٠ ڤولت.

واذا عدّلنا ما يصرفه المعمل من الكهرباء سنوياً وجدنا ما يقارب العشرة او الخمسة عشر مليوناً من الكيلووات ساعة . وقد سمعنا ان شراء هذه الكمية من شركة مشروع نهر ابوعلي تمّ على معدّل الكيلووات الواحد بقرش سوري ونصف القرش.

* * *

هذا ما تمكنا من معرفته عن اعمال شركة السينتو اللبناني وانّنا لمدينون بكثير من النقاط والارقام الى مدير المعمل السيد شكس (Chaix) ، وهو الذي تكرّم علينا بالرسوم المنشورة ، واكثرها مأخوذ اثناء بناء المعمل . واننا لنرجو منه عفوًا عمّا قد يكون فرط منّا من الغلط في الارقام، فما قصدنا الّا ان نبين ما توصّلت اليه همم الوطنيين ، بمساعدة الاداريين والفنيين من الفرنسيس.

ويسرُّنا ان ننشر ، في ختام مقالنا هذا ، رسم حفلة القداس التي جرت في المعمل يوم الجمعة ١٢ حزيران ، برئاسة سيادة المطران انطون عريضة ، وحضور مفوض الشركة السيد ارنو (Arnou) ومدير المعمل السيد شكس ، والمدير الثاني السيد سيلر ، وجمع كريم من اعضاء الشركة وانصارها.

وقد وصلتنا ، ونحن نكتب هذه الاسطر ، دعوة خصوصية الى حفلة التدشين الرسمية التي ستُجرى يوم السبت القادم ٢٧ حزيران في شكا . ولنا ملء الامل بان تلك الحفلة سوف تضم قوماً غفيراً من لبنانيين وسوريين واجانب ، يحيّون ، في ما شيّدته الشركة ، النهضة والعلم والنبوغ . . .

جولة في المجلات

عبادة ادونيس ومكتشفات رأس شمرة —
كلمة في المدارس

عبادة ادونيس ومكتشفات راس شمره

عبد الفينيقيون ادونيس بين سائر آلهتهم، وتلقوا عبادته من الكلدانيين ومن المصريين، مقتبسينها عن عبادة اولئك لعشتاروت، وهؤلاء لاوزيريس. وقالوا ان عشتاروت «الالهة العظيمة» شُغفت بحب «ادون ادونيم» او ربّ الارباب. وحدث، في زعمهم، ان خنزيرًا بريًا قتل ادون ادونيم، فتحولت جثة القتيل الى جذع شجرة الصنوبر، الى ان سمت عشتاروت فانتشلتها من مخالب المنون. وكانوا يعقدون الحفلات «الادونية» الكبرى مرتين في السنة، فيذكرون موت ادونيس في اول الصيف، وقيامته في اول الشتاء؛ تارة بالبكاء والنحيب، وطورًا بالفرح والتهليل.

ولهذه الاسطورة مثال في قصة اوزيريس وايزيس الإلهين المصريين: قُتل اوزيريس بيد اخيه قتلًا فظيعاً، ووُضع في تابوت وطرح في البحر، وحُمل على الموج الى بيبلوس (جبيل)، فتعلق بين اغصان الطرفاء، وتجسم فيها، وصار في حوزة ملك بيبلوس. وجاءت من مصر ايزيس امرأة اوزيريس، فعرفته وهو في الخشب، فطلبته من ملك بيبلوس، وحملت عليه. والمشابهة بديهية بين ادونيس الفينيقي واوزيريس المصري؛ وبين ايزيس المصرية وعشتاروت الالهة الفينيقية، الكلدانية الاصل. وان تلاقي الاله المصري والالهة الكلدانية في ارض سورية ولبنان لَرمزٌ لاحتكاك الشعبين الكبيرين البابلي والمصري في بلادنا. وكانت تطورات عبادات الفينيقيين المقتبسة عن جيرانهم مجهولةً جدًا لقلة ما كان يشعّ على ظلماتها من مكتشفات الآثار، الى ان جرت حفريات رأس شمره فبرز للنور تعليمات جديدة على ديانة الفينيقيين، تكلّم السيد فيرولو عليها في جريدة «العلماء» الفرنسوية (نيسان ١٩٣١، ص ١٧١) فقال:

رأس شمره واقعة شمالي فينيقية على مئتي كيلومتر من بيبلوس، على شاطئ البحر تجاه قبرس. جرت فيها حفريات مرتين فاسفرت عن اشياء

كثيرة ، دالة على تأثيرات مختلفة ، اعني : بابل ، ومصر ، وآسية الصغرى ، والبلاد الميقينية او اليونانية القديمة ؛ وعلمنا انه كان هناك ، في اواخر الالف الثاني قبل المسيح ، مركز تجاري خطير ، متصل بسائر البلدان المجاورة. فقد وجدوا في راس شمره طائفة من مكتبتها القديمة ، وهي كسائر المكتبات البابلية ، مكونة من الواح الآجر ، المنقوشة باحرف مسمارية . على ان تلك الكتابة ليست غامضة ، معتاصة القراءة ، باكتظاظ علاماتها وكثرتها ، شأن الكتابة البابلية القديمة ، بل هي كتابة مسمارية بسيطة جداً ، مركبة من ثمانية وعشرين حرفاً ، ضمت في ابجديتها لغة الفينيقيين بكمالها . ومن المعلوم ان اللغة الفينيقية شديدة الشبه باللغة العبرانية.

وان زهاء اثني عشر لوحاً من هذه المجموعة حوت قطع ملحمة ميتولوجية ، او مأساة جرت حوادثها في عالم الآلهة ، ومن مواقعها الفصل التالي : ألين ابن البعل قضى نحبه . كيف مات ؟ ان الامر لمجهول لان ظلائع الحادثة لا تزال غامضة . ولكن من الاكيد الثابت ان ألين مات ، والطبيعة باجمعها تتألم لوفاته : انقطع حبل الحياة في العالم ، وامسكت السماء مطرها فاجدبت الاراضي ، وشحت مياه الانهار وجفت غدرانها ، وتوغلت الوحوش الضارية في ظواهر المدن.

وكان الآلهة العظام ، المالكون في السماء ، على بصيرة من الحقيقة ، وهي ان « موت » هو قاتل ألين . فاوفدوا من طرفهم الهة ، وانما هي شقيقة ألين المتوفى ، فقصدت الى «موت» وسألته بالحاح ان يردّ لها اخاها. وحاول « موت » التبرّؤ من الجريمة ، ورمى عهدتها على غيره ، وقال انه مستعد ان يقوم مقام الذي قضى نحبه . وقال : « ان كان ولا بد من ان انزل في اعماق الارض لاطلب نسمة الحياة التي ستحيي الانسان وتكسو الحقول خضرةً ونضارةً، فسوف انزل فيها . وبفضلي سوف تنتشي الصحراء بالاحجار الكريمة وتحل الرعايا في الارض المزروعة التي كانت الاسود قد احتلتها »

ولكن هذه الكلمات الرائعة لم تهدئ غضب الالهة ، فنادت بالويل والثبور ، وصممت النية على الاخذ بثأر اخيها . فهاجمت اولاً قطعان « موت » وفتكت

بها ؛ ثم أغرت كلباً على نعاجه وكلباً على حملانه . وبعد ان بددت القطيع حملت على « موت » نفسه ، فقبضت عليه وشقته شطرين بمنجلها ، واحرقته بالنار، وطحنته بين حجري رحى، ونثرت رماده في الحقل.

وصورت هذه الخطط طبيعة « موت» الحقيقية. فهو الاله الراعي ، وهو اله النبات ، بل هو النبات بالذات . و« موت » هو السنبلة المحصودة لصنع الخبز، وهو حبة القمح المحفوظة والمحتوية في غلافها الناعم ذرة الغلات المستقبلة.

ووجوه المقابلة والمشابهة بين اسطورة « موت » الذي يعود الى الحياة واسطورة ادونيس ظاهرة ، وضّاحة . على ان هناك فرقاً بين الاثنين : فالاول انقلب الى سنبلة والثاني تحول الى شجرة، ولماذا ؟ قال السيد ڤيرولو:

ظهر اله النبات في رأس شمره بهيئة السنبلة او حبة القمح ، فاصطبغ بلون بلاده لأنّ رأس شمره واقعة في وسط سهل واسع خصيب ، مخصص لزراعة القمح . اما في بيبلوس فالنبات غزّه بالغاب والاحراج، فلذلك ظهر فيه اله الحياة بهيئة الشجرة. وهناك وجوه التشابه : ان ألين هو خصم موت ، فيأمر السحاب والرياح والمطر ؛ وهو اله الشتاء الذي ترافقه الوحوش الضارية وما بينها الخنازير الثمانية. وها ان ذكر الخنزير ظاهر في اسطورة ادونيس فانه هو الذي فتك به في غابة بيبلوس لما لبس شمار الصياد.

والنتيجة هي انه بفضل الواح رأس شمره الراقي عهدها الى القرن الثالث عشر قبل المسيح تمكن العلماء من الحصول على وسائط جديدة لدرس اسطورة ادونيس وما شابها من الاساطير الميتولوجية ، فليست من القصص التي تحدث بها البشر ابًا عن جد بالكلام فقط بل كانت ثابتة الاوضاع ، مدوّنة بالكتابة منذ عهد رعمسيس . ومنها يتضح ان الشعر نشأ ايضاً بين الفينيقيين وقد نوّه به كتبة الاساطير في العهد الروماني. وان اضفت الى هذه التعليمات ما اظهرته حفريات رأس شمره عن اصل الابجدية الفينيقي الصبير،وعما يرجى منها من الايضاحات والفوائد الجديدة ، تحققت صدق من الحزأ اهميتها .

كلمة في المدارس

قال صاحب مجلة المعارف (ص ٤٧٣) :

« سألنا سائل عن اكبر المدارس البيروتية واعظمها تأثيرًا في الشرق واوفرها

طلبة فنعجب ان الجامعة الاميركية هو [كذا] اكبر مدارس الشرق فيها من الطلبة بهذا العام ١٥٢٥ كما ورد في احصاء الكلية الخ ...»

وأنّا وددنا لو اتيح للزميل العزيز ان يكمل تليماته بمطالعة صفحة نشرة افرنسية تظهر في كلية القديس يوسف اربع مرات في السنة وعنوانها : اخبار الشرق« *Relations d'Orient* » فقد عُرض فيها (نيسان – حزيران ، ص ١٢٦) جدول قُوبل فيه بين احصاءات الكليتين الاميركية واليسوعية ، واليك الصفحة :

الدارسون في الجامعتين البيروتيتين سنة ١٩٣٠–٣١

	الكلية اليسوعية		الكلية الاميركية
بحسب الاديان	١٧٧٦	المسيحيون الكاثوليك	١١٧
	٨٥٨	المسيحيون الغير الكاثوليك	٦٥٤
	١٠٠	الغير المسيحيين	٧٥٤
بحسب البلدان	٢٥٣٢	لبنان وسورية	٦٣٧
	٣٧	سائر بلاد آسية	٦٦٧
	٣٣	افريقية	٦٨
	٨٨	اوربة	١٠٦
	٤٤	اميركة	٥٧
المجموع	٢٧٣٤		١٥٢٥

وهذا الاحصاء من طرف الكلية الاميركية يشمل تلامذة المعاهد العليا والاستعدادية والابتدائية والمعهد الموسيقي ؛ اما من طرف الكلية اليسوعية فيشمل تلامذة المعاهد العليا والتعليم الثانوي ، والتعليم الاستعدادي ، والتعليم الابتدائي .

وبين ٢٧٣٤ تلميذ يترددون على معاهد الآباء اليسوعيين في بيروت زهاء ثلثهم يتلقون التعليم مجاناً . وعبء تعليم الفقراء والجهّال اتخذته الرهبانية اليسوعية على عاتقها بواجب قوانينها . على ان لهؤلاء بنايات خاصة، لانه من الصواب والعدل ان تنال كل فئة من الطلاب التعليم الموافق لها ، وفي البيئة المناسبة لحالتها الاجتماعية . هذا في بيروت ، اما في خارجها فاليك بعض احصاءات مدارس الارسالية اليسوعية ، وطائفة عظيمة من تلامذتها تتلقن العلم مجاناً :

في لبنان	٧٤٦٢		
في سورية	٣٨١٨		
في حوران وجبل الدروز	١٧٥٠		
في بلاد العلويين	٣٧٣		
المجموع	١٣٤٠٣	المجموع العام	١٦١٣٦

ف . ت .

شذرات

مكتشفات جديدة في جبيل

اعلن السيد رنه دوسو في مجمع الآثار والآداب بباريس انه تناول رسالة من السيد موريس دونان مدير حفريات جبيل فيها ان قد تمت هناك حفريات مهمة لكشف سور المقبرة القديم ، فوجد العملة مجموعة خطيرة من النقود الفضية تحتوي على ١٤١ قطعة يعود تاريخها الى زمن الاسكندر المقدوني ، و٢١٩ قطعة ضربت في جبيل ، وعليها اسماء بعض ملوكها الفينيقيين ؛ وفريق من هؤلاء الملوك كانت اسماؤهم لا تزال حتى الآن مجهولة .

المياه في الحجاز

درس المستر توتشل ، المهندس الاميركي الاختصاصي بالمياه والمعادن ، المنطقة الحجازية الواقعة بين وادي فاطمة وجدة وضواحي جدة الساحلية ، وقدّم الى ابن سعود تقريراً ضافياً نشرته جريدة «امّ القرى» المكية (٢٩ ايار ١٩٣١)، مفاده انه يمكن الانتفاع من عدة آبار منتشرة في تلك المنطقة ، بعضها عذب الماء كبئر الباشية في وادي ام السلم ، وبعضها مالحه كبئر ام الصابون على مسافة ٢٠٠ متر من البئر السابقة . على ان الامل بوجود آبار ارتوازية يفور منها الماء بواسطة الضغط ضعيف جدًّا ، لان الصخور البركانية التي تكوّن الحواجز الضاغطة في الآبار الارتوازية ، قد تكسرت والتوت وتشققت في العصور الغابرة . ولكن هذا لا يمنع وجود مياه غزيرة في بعض الانحاء ، كوادي ام السلم ، يمكن استخراجها بسهولة بواسطة طلمبات او مضخات ثابتة ونقّالة . وقد اشار المهندس بان يُنشأ في ذاك المحل « بساتين صغيرة تتوسع شيئاً فشيئاً عند معرفة مقدار الماء الموجود هنالك على وجه الحقيقة .

وكذلك ذكر المهندس ان في وادي فاطمة مياهاً غزيرة ايضاً يمكن « استحصال مقدار كبير منها لاجل الاستفادة منه في الزراعة بواسطة حفر آبار متعددة ، والآبار التي ستكون اكثر فائدة هنا هي التي تحفر في اسفل الصخور ،

وعلى الارجح ان ماكنات الثقب وحدها هي التي تقدر على هذا العمل. ويمكن كذلك زيادة هذه المياه بواسطة تنظيف الينابيع الموجودة وبحفر قنوات على خط مجرى المياه. اما المزروعات المفيدة اكثر من غيرها في هـذه الاراضي فهي على ما اظن النخيل والبرتقـال والليمون والنارنج والقطن (احسن نوع منـه) واليوكالبتوس وشجر الخيزران والفول والجوز والبطاطس.»

مضار المراهنات

يندر ان تخلو جريدة من حوادث مساوئ القمار ومضار المراهنـات وما يكون عنها من يأس قد يؤدي الى الانتحار. واليك ما قرأناه منها مؤخرًا في «البشير»:

حاولت السيدة خديجة بنت علي موسى الانتحار بطعم الفار لان زوجها علي مرمر هام بسباق الخيل، واضاع فيه كل ما كان، وزوجته المذكورة، حصلاه من مال بتعب ايديهما. ولا تزال هذه السيدة تحت المعالجة وقد باشر رجال الشرطة التحقيق. فعسى ان يكون في هذا الحادث عبرة.

المسلمون يؤذنون بالراديو

ذكرت مجلة الكلمة النيويوركية (حزيران ١٩٣١: ٢٤٤) ما يلي:

لم يقف مصلحو الاتراك عند حد اصلاحاتهم السياسية والاجتماعية بل اخذوا يدخلون الفنون والاختراعات الحديثـة في حياتهم وطقوسهم الدينية. كان المسلمون منذ ظهور الاسلام حتى الآن يستخدمون التأذين في الدعوة الى الصلاة في اوقاتها الخمسة. وكان المؤذنون، في المدن الكبرى، يضطرون الى تسلق السلالم اللولبية الضيقة الشاهقة في المآذن ليقوموا بواجب التأذين. اما الآن فقد شرع مسلمو استنبول من الاتراك العصريين يعتاضون عن المؤذنين الكثيرين بمؤذن واحد يجلس في غرفـة خاصة تحوي محطة راديو ذيّاعة، فينادي هـذا الشيخ امام الآلة بالأذان وهي تذيعه على تموجات الهواء. الى آلات الراديو التي نصبوا واحدة منها في راس كل مأذنة من المآذن وهذه الآلات تذيع صوت المؤذن في كل حي الى كل بيت؛ ويعتاض عن كثرة المؤذنين ومتاعبهم الجمة.

مطبوعات شرقية جديدة

Becker (C. H.): Das Erbe der Antike im Orient und Okzident. 42 *pp.* 8° *Leipzig, Quelle u. Meyer.* 1931

ارث العصور القديمة في الشرق والغرب

هي محاضرة نفيسة القاها الدكتور بيكر، احد مشاهير علماء الاسلاميات، في برلين في ١٨ اذار الفائت. توسّع فيها في ما كان عرضه من الآراء في الجزء الاول من «المجانه الاسلامية» «*Islamstudien*» (ص ٣٤) الذي ظهر سنة ١٩٢٤، والذي سيظهر جزؤه الثاني قريباً. فاعاد النظر فيها وزادها حججاً وبراهين. اما هذه الآراء فتدور حول سؤالين مهمّين: ١ً اي تأثير يعود لإرث العصور القديمة في تاريخ الاسلام ومدنيته من جهة، وفي تاريخ الغرب ومدنيته من جهة اخرى؟ ٢ً ما هي اسباب النتائج المختلفة في هاتين الجهتين؟

اما السؤال الاول فجوابه ان ذاك الارث القديم اليوناني ظهر تأثيره في المنطقتين: في رومة اولاً اذ دخلتها الثقافة اليونانية قبل ان وصل اليها تأثير الشرق والمسيحية. على ان تلك الثقافة لم تكن لتخلو من مسحة شرقية، لان المقصود منها عصرها الممتد من الاسكندر الى اغسطوس قيصر. وكذلك القول عن تأثير الثقافة اليونانية في الشرق فهو من المقرّر لما اختصت به تلك الشعوب من ماضٍ عريق بالثقافات المتتابعة. وقد أثّرت هذه الثقافة اليونانية ـ المسيحية في الاسلام، فدخلته من دون ان يشعر احياناً، وظهرت بأجلى مظاهرها على عهد المأمون اذ كثرت الترجمات عن فلاسفة اليونان، حتى ان الاسلام نفسه أثّر من هذه الناحية في المذاهب الغربية.

واما السؤال الثاني فجوابه انه في الشرق لم يفترق الدين والعلم في شيء، بل كانا دائماً يؤلّفان وحدة متجانسة لا تتجزأ. ولم يكن القوم بحاجة الا الى مبادئ واصول الفلاسفة والاطباء، فصرفوا النظر الى العلميات عن «الادب» الصرف وكل ما كان يمتّ بصلة الى الادب في ذاك الارث القديم. اما في الغرب

فكانت الحالة على عكس ذلك خصوصاً في عهد النهضة (Renaissance) . وعليه فلا غرابة اذا اختلفت النتائج . هذا وان على الغرب اليوم ان يفيد بما وصل اليه ابناء الشرق وهم يعتبّرون في الوقت الحاضر جادين في حلقة المدنية الغربية .

فيظهر مما تقدّم ما تتصف به هذه النظرات من الغنى الفكري . على انها تتجاوز الحدّ احياناً فيغفل المؤلف ، في ما خصّ فنّ البناء والنحت وما اليه ، ذكر المذاهب الفنية القديمة في بابل واشور ، واسية الصغرى ، وسورية - فينيقية . واننا اذا سألنا لِمَ انترض هذا الارث الثمين ، كان الجواب واضحاً وهو ان الاسلام كان سبب ذلك .

هذا وان المؤلف ، وهو وزير الدولة الالمانية الجديدة ، قد نشر عدّة رسائل في مواضيع التربية والتهذيب دلّت على ما اتصف به من وفرة المعلومات وسعتها ليس فقط في محيط الابحاث الاسلامية بل في محيط الثقافة العامة والتاريخ ايضاً . س . ر .

Weickert (Carl) : Typen der archaischen Architektur in Griechenland und Kleinasien. 199 *pp. gr in-8°, Augsburg, Dr Benno Filserverlag. R. M.* 24.

هندسة البناء القديمة في بلاد اليونان وآسية الصغرى

هذا تأليف اجمالي جامع قدّمه صاحبه في مونيخ أطروحةً لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة ثم نشره دون تغيير ، على ان يعيد فيه النظر فيوسّع كل بحث منه ويتعمق فيه على حدة . ولهذا يظهر الكتاب ، دون صورة ولا رسم ، اطاراً او هيكلاً مرتباً يبحث فيه المؤلف عن هندسة البناء القديمة في بلاد اليونان واسية الصغرى مبتدئاً بأعرق العصور في القدم ، مصوّراً مظاهر تلك الهندسة وتطوّرها بدقة وايجاز ، حتى يصل الى القرن السادس قبل المسيح . ونظريته الاولية أن تلك الهندسة ، على كونها تمتّ بصلة ما الى الهندسة القديمة التي تقدمتها في اقريطش المينوية ، تظهر مستقلة نوعاً ما حتى تبلغ في الصروح الدينية والمدنية درجة من الاستقلال تدلّ على ما خصّت به بلاد

اليونان واسية الصغرى من الابتكار والشخصية . هذا ولا يُعرف الشيء المهم عن هذا الفن في العصور القديمة . الا انه منذ القرن الرابع ق.م. — وهو القرن الذي بدأت فيه الهندسة الشرقية تؤثر في الهندسة المدروسة في الكتاب — بدأت دلائل تلك الهندسة تظهر شيئاً فشيئاً الى ان تمّ ازدهارها في القرن السادس حتى انه يمكننا قسمة هذا القرن الى حقبتين يبدو تقدم الثانية واضحاً على الاولى ، وذلك قُبيل ازدهار الهندسة اليونانية .

فنتمنى للمؤلف ان يتابع هذه الابحاث التي حدّدها بدقة على اتساعها فتزداد فائدتها . بل انه يكفي لزيادة الفائدة ان يردف كتابه الحاضر بمجموعة رسوم وصور تمثل الانواع الهندسية التي تكلّم عنها . س . ر .

Kirsch (Dr Johann Peter) : Kirchengeschichte. *Erster Band.* Die Kirche in der antiken griechisch-roemischen Kulturwelt. 1 *carte*, XX-876 *pp.* 1930, *Prix, broché M.* 25,50, *Freiburg im Breisgau, Herder.*

تاريخ الكنيسة : المجلّد الاول

يسرّنا ان نعلن ظهور الجزء الاول من هذا التاريخ الجامع الذي ستظهر عن قريب اجزاؤه الثلاثة الباقية . وهذا الجزء ينتهي في آخر القرن الرابع ، ويشمل تقدم الكنيسة في الامبراطورية الرومانية الوثنية ، ثم في الامبراطورية المسيحية . ويهتم المؤلف ، الى اهتمامه بالتاريخ الخارجي ، بما هو جدير بالاهتمام ، اي حياة الكنيسة الداخلية من حيث العقائد ، والنظام الكنسي ، والفن الديني ، واللاهوت ، وحياة الكنائس الخاصة . هذا الى عناية ممدوحة في سرد المآخذ والاسانيد وعمل الفهارس والجداول ، عناية يُشكر عليها المؤلف ، كما يشكر الطابع لما صرفه من الجهد في اظهار هذا المجلد النفيس . ج . ل .

Zehn Bilder aus d. altorient. Sälen des Vorderasiat. Mus. z. Berlin. 10 *cartes postales et courte descript. Berlin,* 1930, *H. Schoetz et Cie.*

مجموعة صور اثرية

هي مجموعة عشر صور مأخوذة عن محتويات غرف الآثار الشرقية القديمة في متحف آسية الصغرى في برلين ، وغايتها افادة جمهرة القراء ولا سيما زائري

المتحف المذكور عن قيمة تلك الكنوز . والصور تمثل : ١ً طريق الطواف الكبرى في بابل(من السنة ٥٧٠ ق.م.) ؛ ٢-٧ باب إشتار(من التاريخ نفسه)، وردهة العرش (من التاريخ نفسه ايضاً) ؛ ٨ً واجهة اشور البرتية (نحو السنة ٢٠٠ ب. م.) ؛ ٩ً سلسلة مسلّات اشور (من ١٣٠٠ — ٦٤٠ ق. م.) ؛ ١٠ً مسلّة اسرهادّون (٦٨٠-٦٠٩ ق. م.) التي اكتُشفت في زنجرلي في سورية الشمالية . وهي على غاية ما يمكن من الاتقان تفيد فائدة جزيلة من لا يمكنه زيارة المتحف المذكور. س. ر.

Sinaïski (Vasili) : Théorie de la chronologie ancienne. [*Epistolae et logistorici n° 9-11*] *in-8°*, 42 *p. Riga*, 1931.

نظرية عن التوقيت في العصور القديمة

ذكرنا سابقاً (المشرق ٢٨ [١٩٣٠] : ٥٥٤) نظرية المؤلف في طريقة التوقيت في العصور القديمة . وهو يعود الى المسألة نفسها فيدرس ما كتبه العلماء في الموضوع ويستعين بطريقة التوقيت الرومانية ليبرهن عن نظريته التي شرحناها شرحاً كافياً في ما سبق .

D. Tostivint : Le problème des chronologies antiques. La Babylonie. 101 *pp.* 8°, *Paris, Geuthner*, 1931.

معضلة التوقيتات في العصور القديمة — التوقيت البابلي

وهذا ايضاً كتاب في معضلة التوقيت القديمة . كان المؤلف درس الموضوع مدة طويلة في ما خصّ توقيت التوراة ، ثم قابل بينه وبين طرق التوقيت القديمة من مصرية وشومرية وبابلية وهندية وصينية ومكسيكية الخ . . . ثم ترك ابحاثه حيناً حتى قرأ يوماً في نقد للاب كوندمن (P. Condamin) اليسوعي ، ظهر في مجلة «الابحاث عن العلم الديني» (*Recherches de Science religieuse*) سنة ١٩٢٦ ، ان الاب كوغلر (P. Kugler) اليسوعي (وهو من مشاهير علماء الفلك واساتذة الاشوريات) يعيّن عهد الملك حمورابي بين السنوات ١٩٤٨— ١٩٠٥ ق. م. ، فتحقق المؤلف ان هذه الارقام توافق كل الموافقة الارقام التي كان قد توصّل اليها من جهته في تعيين عهد ابراهيم الخليل ، معاصر الملك البابلي . ومن ثمّ عاد الى ابحاثه السابقة بحرارة واهتمام مجدّدين ، ونشر هذا

البحث يجرّب فيه طريقة لقياس ذاك التدقيق القديم، مستعيناً بما قام به من تأويل الشاعر والمؤرخ بيروز (Bérose) ، وما وجد من الرقم المسمارية على موشور محفوظ في متحف اكسفرد . وهو يؤيد طريقته السابقة ويؤمل ان يتابع العمل اذا ما تبع العلماء آراءه . ولكن ، لسوء الحظ ، ليس في العالم من يقتنع بانه، عند ما يشير بيروز او الرقم المسمارية الى ملايين السنين التي تقدّمت الطوفان ، يجب ان نعتبر هذه السنين مدات قصيرة لا تتجاوز احداها الثلاثين يوماً ! س . ر

G.-R. Tabouis: Nabuchodonosor et le triomphe de Babylone. 423 *pp. in* 8°, 20 *fig. et* 18 *illustr., Paris, Payot*, 1931.

بختنصر وانتصار بابل

عُرفت مؤلفة هذا الكتاب ، السيدة تابوي ، بكتاب سابق توّجته الاكادمية الفرنسوية ، وكان عنوانه : الفرعون توت عنخ امون « *Le Pharaon Tout Ank Amon.* » . فدفعها هذا التوفّق في موضوع كان ولا يزال من اهمّ واجذب موضوعات الحفريات المصرية الكبرى ، الى الاخذ بموضوع آخر لا يقلّ عن الاول اهمية وفخامة اذ يدور حول احد عظماء ملوك الشرق القديم ، حول بختنصر العظيم ، سلف مشاهير القوّاد وعظماء الملوك كالاسكندر ويوليوس قيصر ونابوليون . اما عدة السيدة للخوض في هذا الموضوع المهمّ فكانت ما حصلته من المعارف في مدرسة اللوفر ، ثم اثناء مطالعاتها الكثيرة . على ان الحفريات المصرية وقراءة الرقم المسمارية جدّدت كثيراً من معلومات المؤرخين وصوّرت فيها كثيراً ايضاً ، فكان من السهل اذاً تأليف كتاب يطبع بطابع النقد والرزانة ، وان لم يتمكن المؤلف من الاستناد مباشرةً الى تلك الآثار المكتشفة ، اذ ليس لكل انسان ان يكون من علماء الاشوريات .

ولكن مما يؤسف له ان السيدة المؤلفة لم تكتفِ بملخص تاريخي ، بل ارادت ، في زعمها ، ان تملأ كتابها بالحياة والحركة فجنحت بالموضوع من محيط التاريخ الى مجال الروايات والاساطير . لا شكّ في انها استقت كثيراً مما وصلت اليه من الكتب التي سردت اسماءها في آخر مجلدها ، فاكثرت من ذكر المآخذ، وعدّدت الاستشهادات الطويلة احياناً ، فجعلت لكتابها مسحة علمية ،

ولكن كل هذا لا يغيّر في شيء صفة تأليفها المذكورة اعلاه . هذا وللسيد غبريال هانوتو (Hanotaux) العضو في الاكاديمية الفرنسوية ان يقول ، في المقدّمة التي كتبها للكتاب حاثّاً الناس على مطالعته : « اكسروا القشرة تجدوا الجوزة » *brisez l'écaille, trouvez la noix* « ولكن ليس للقشرة ولا للجوزة قيمة ما في نظر المطالع المدقّق . اما القشرة فـائلة بذاك الاسلوب المتكلّف فيه ، الجانح ابداً الى النوع الرواني ، المشبه قربة فارغة لا ينتأ صاحبها ينفخها دقيقة فدقيقة ، فيجهد القارئ ويزعجه . واما الجوزة فلم تحسن المؤلفة استخراج لبها ، بل حصرتها ببعض الشواهد وبسرد لائحة المآخذ ، فظهرت متكسّرة منسحقة تحت ثقل القشرة وضغطها . وان تأثير القشرة هذا يتجاوز المعنى الى صوغ التعابير فيبدو الانشاء متكلفاً مضطرباً كما في هذه الجملة مثلاً (ص١٣٥) : « *Dans son petit lit étroit, qui dresse son dur coucher, haut sur des pieds de lion, Nabuchodonosor dort encore !* » بل في بعض التعابير اغلاط نحوية ، من ذلك ما جاء في الصفحة١٤ الحاشية ١ ؛ وفي الصفحة ٣٦ حيث قالت : « *elles s'étaient disputées* » والصواب « *disputé* » . وغيره كثير .

ثم ان الفصل المختصّ « بإشتار » ، وهو ثمرة المطالعات الحديثة ، خارج بكامله عن الموضوع . ولعلّ الكاتبة وضعته خصوصاً لتجذب من يميل من القرّاء الى تذوّق ذاك النوع من الفنّ ، وقد يكونون كثراً لشدة ما يؤثر النوع الرواني في عصرنا على جمهرة المطالعين س . ر .

Litterae orientales, *Heft* 46, *April* 1931. *Otto Harrassowitz, Leipzig.*

مجلة الآداب الشرقية : نيسان ١٩٣١

في هذا الجزء ، وهو الثاني من السنة الحالية ، نظرة اجمالية في الآداب الفارسية منذ السنة ١٥٠٠ حتى السنة ١٩٠٣ للاستاذ سيبنور . ثم ذكر وفاة تولدكه للاستاذ بروكلمان ، ووفاة اميل كوبس للاستاذ إركس ، ووفاة زيرن للاستاذ ويساخ . وقد خصّ القسم الثاني بالاشارة الى المطبوعات الجديدة المتعلقة بالشرق الادنى والاقصى .

الذخائر السنية

مجموعة مناشير ونشرات غبطة البطريرك الماروني ماري الياس بطرس الحويك

مطبعة المرسلين اللبنانيين. جونية ١٩٣١ (ص٦١٨ ، ق ٨)

في ٦ كانون الاول سنة ١٨٩٩ ، رُفع سيادة المطران الياس الحويك رئيس اساقفة عرقة الى المقام البطريركي. وفي اول شباط اصدر رسالته الاولى الى الشعب الماروني ، اعرب فيها عما كان يختلج في قلبه من الافكار والمقاصد تجاه الواجبات التي القي عليه حملها في عهدنا العصيب . فانه صمم النية على التآزر بمساعدة الاساقفة ، والسير في تقفي اثار البطاركة الاقدمين بالمحافظة على الايمان الكاثوليكي وتعزيز الطائفة الكريمة ، وطلب من الاساقفة السهر على حظائرهم ، ومن الكهنة الغيرة على خدمة الرعايا ، ورمى بنظره بعيدًا الى مستقبل الاكليرس فلفت النظر الى واجب الاهتمام باتقان المدارس الاكليريكية ، وانشاء الاخويات والجمعيات ، ودعا الشعب اليه ابًا وراعيًا ومعزيًا في كل ساعة واستحثه على التمسك بالدين وعلى ممارسة الاعمال الصالحة ، واخلاص التعلق بالكنيسة الرومانية ، والخضوع للحكام المدنيين. وكان هذا البيان برنامجًا لما امل البطريرك تحقيقه في خدمة الله والنفوس.

ومضى على صدور ذلك البرنامج زهاء اثنتين وثلاثين سنة ، تعاقبت فيها الحوادث الشهيرة والنتائج الخطيرة ، وكان للبطريرك فيها شأنه ومهمته التاريخية ، فبرزت فيها شخصيته وتجلت صفاته . وهذه الشخصية والصفات والحوادث والشؤون سوف تكون مادةً لكتبة التاريخ الحالي . ولكن من اين المرجع اليها ؟ ومن يوقفنا على تفاصيلها ؟

انما هي اثار البطريرك ذاته وما اقرب مواردها في هذه المجموعة الواضحة التي عُني بتنسيقها حضرة الاب فيليب السمراني ، وطبعت على نفقة الخوري الاسقفي بطرس حبيقة وجمعية الرسالة اللبنانية . وفيها نرى الابحاث في اصلاح الرهبانيات (ص ٤٠ ، ١٢٩) والاكليروس (ص ٣١٣ ، ٨٥٦) — آفات العصر : الماسونية (ص٦٠٩ ، ٦٠٠) المقامرة (ص ٩٠٤) — الحرب الكونية (ص٤٨٥ ،

٨٨٤ ، ٨٨٥) — آفة الجراد (ص ٨٣٩) الهواء الاصفر (ص ٨٦٦) — تطويب شهداء دمشق الموارنة (ص ٦٦٨) الخ . . .

فنثني على الهمة الشماء التي دفعت الى القيام بهذا المشروع الجميل ونتمنى للكتاب ان يكون في بيوت المؤمنين عموماً ، وفي مكاتب الاكليروس خصوصاً وان يعقبه من الكتب التي تحفظ للسلف آثار الخلف المجيد في سائر الطوائف المسيحية . وهذا الكتاب هو الثاني من نوعه بعد رعائيات القاصد الرسولي التي ظهرت سنة ١٩٢٩ . ف . ت .

على بساط الريح

لفوزي المعلوف

١٤٣ صفحة متوسطة ، مع ١٦ صورة ملوّنة و١٤ رسماً رمزياً – مطبعة الفنون ، سان باولو البرازيل ، ١٩٣٠

هي قصيدة عمرانية فلسفية ذات اربعة عشر نشيداً لفقيد الادب المرحوم فوزي المعلوف ، كانت قد نشرتها مجلة الجالية البرازيلية بعنوان « شاعر في طيّارة » . ثم اعاد الشاعر نظره فيها فاصلح منها ، واضاف بيتين الى كلّ من اناشيدها عدا الثلاث الاخيرة ، اذ حالت وفاته دون ذلك . فترك الاثر تحفةً ثمينة للادب العربي . فقام بعد وفاته من اهتمّ بنشره بعنوان « على بساط الريح » فظهر ، في ريو دي جانيرو ، في ثلاثة مجلدات بثلاث لغات : العربية والاسبانية والبرتغالية . وكلها بحجم واحد ومظهر واحد ، ذات ورق ممتاز وحرف ملوّن بالاحمر على الورق الرمادي القاتم في النص العربي ، وبالاسود على الورق الرمادي المصفرّ في الترجمة الاسبانية ، وبالاسود على الورق الاخضر في الترجمة البرتغالية . كل هذا يزيّنه صور ملوّنة تتقدم الاناشيد وترمز الى اهم فكرة شعرية فيها ، وهي من ريشة المصوّر الروسي ألّي ايغناتوفتش (Ally Ignatovitch) تنتسب الى النوع الرمزي المستند الى مزج الالوان القوية وخلط المشاهد الرائعة حتى الغرابة احياناً ، وقد يميل بعضها الى النوع التكعيبي الحديث . وقد جعلت عناوين الاناشيد ضمن رموز موحّدة اللون رسمها الرسّام البرازيلي سيت (Seth)

فاتت اكثرها على غاية من اللطف والموافقة ، ولا شك انها تفوق الصور الاولى دقة وحسن ذوق. وفي صدر كل من الكتب الثلاثة آخر صورة للشاعر الفقيد، يتلوها مقدمة واسعة بقلم الشاعر الاسباني فرنسيسكو ڤيلاسباسا (Francisco Villaespesa) هي الى الشعر والعاطفة اقرب منها الى الانتقاد ؛ وهذا الشاعر نفسه هو مترجم القصيدة الى لغته الاسبانية ، اما مترجمها الى البرتغالية فهو الشاعر البرازيلي ڤنتوريللي سوبرينو (Venturelli Sobrinho).

فوزي المعلوف من شعراء العصر الافذاذ الذين تعادلت في شخصياتهم عناصر الشعر، فارتفعت بهم الى درجة سامية من الفنّ والابداع. شعور رقيق حسّاس ، وخيال فسيح جوّال ، وذوق لطيف يأخذ من الرزانة بقسط وافر. هي شروط الشعر الاساسية، وهي ما نراها متجلية في تلك الانشودة البديعة ، بل في ذاك الاثر الفني الرائع «على بساط الريح» . هذا الى بصر في العمران وسننه ، ورأي في الاجتماع وشرائعه ، وفكر في الحياة الحاضرة وظواهرها ، بنظرات من الحقّ انها صادرة عن شاعر ، ولكن من الحقّ ايضاً انها قرنت الى روعة الشعر دقة التفكير.

قد يرى الناقد في الآراء بعض الاجمال والتطرّف ، وقد يلمس في مظاهر الشعور بعض الانحراف الى التشاؤم ، وقد يرى في مشاهد الخيال شيئاً طفيفاً من التطوّح ، وقد يودّ لو ابدل ببعض التعابير ما كان اقرب منها الى الكمال ؛ ولكنه لا يسعه الا الاعجاب بتلك الموهبة الفنية الفائقة في القصيدة كلها ، ولا يمكنه الا الانحناء باحترام امام ذاك الاخلاص للفن المتجلّي في كل مقاطعها . وهو يعجب وينحني ويسكت واجماً آسفاً ان تكون حياة الخلود استأثرت بشاعرنا قبل ان نملأ منه اعيننا في حياتنا الفانية[1].

ف . ا . ب

---

١) قد يسعدنا الحظّ فنعود الى درس هذه القصيدة خاصّة ، ودرس شخصية الشاعر الفقيد عامّة.

الفضيلة الملثّمة

لواضعها وناظمها ادوار مرقص

١٦ صفحة متوسطة – مطبعة الرغائب، اللاذقية، ١٩٣١ – الثمن: ١٠ غ.س.

قصة عربية شعرية نظمها، على بحر واحد وقافية واحدة، الاستاذ ادوار مرقص، « والقاها عن ظهر قلب في حفلة ادبية خطابية باللاذقية السبت ليلا ٦ حزيران ١٩٣١»، وقد ضمن حوادثها الروائية مغازي جمة في الادب والاجتماع.

المطران يوسف فريفر، كفرحي

للاب بطرس نصرالله

٤٠ صفحة صغيرة – مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، ١٩٣١

هي محاضرة واسعة في حياة المطران فريفر وآثاره القاها حضرة الاب بطرس نصرالله في نادي اخوية القديس يوسف المارونية في بيروت، ثم طبعها على حدة.

نشرة مدرسة الحكمة المارونية

٤٨ صفحة متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣١

هو الجزء الاول من نشرة جديدة رأت ادارة مدرسة الحكمة المارونية اظهارها مرتين كل سنة، باللغتين العربية والفرنسوية، حاملة اخبار ما يجري في المدرسة، وما يجول في خواطر المتخرجين من ذكريات، فتكون صلة بين التلامذة القدماء والحاليين.

المرآة الجلية في الحياة الكهنوتية

بقلم الخوري يوسف العشيتي

هي حياة المرحوم الخوري بولس يزبك العشيتي، الوكيل البطريركي، مع ما اتصف به من التقوى والغيرة وحسن التدبير تظهر واضحة معجبة في هذه المرآة الجلية.

* قانون حزب التمثيل الصالح * – ٣١ ص. متوسطة، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣١، ثمنه: ٢٥ غ. س. – وضعه الاستاذ يوسف الظبوني، رئيس الحزب ومدير تمثيله ومندوبه تجاه الحكومة. اما غاية الحزب فهي «محاربة التمثيل الخلاعي، والسينما المفسد، والمطبوعات الرديئة»

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران ١٩٣١

لبنان وسوريه سافر المندوب السامي السيد هنري بونسو الى باريس لاعطاء تقريره السنوي عن حالة البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي.

* افتتح في ١٥ حزيران معرض صناعي في مدرسة الصنائع والفنون في بيروت ، عرضت فيه نماذج عديدة من الصناعات الوطنية.

فلسطين صدر حكم مجلس الملك الخاص في لندرة بشأن مشكلة البراق بين العرب واليهود ؛ وكان اهم ما جاء فيه انه أقرّ للمسلمين بالملكية والحق العيني في البراق والرصيف القائم امامه ، ولليهود بحقّ الصلاة والعبادة وجلب ما يحتاجون اليه في ذلك من الامتعة والآنية . ومنع المسلمين من اقامة حفلات الذكر في اثناء قيام اليهود بالصلاة ، ومنعهم من انشاء اي بناء وهدم او تعمير اي بناء من ابنية ساحة الحرم ومحلة المغاربة المجاورة للجدار ... وقد قابل العرب هذا القرار بالسخط الشديد .

مصر تمت الانتخابات البرلمانية لاعضاء مجلسي النواب والشيوخ ودلت اكثريتها على فوز باهر للحكومة الحاضرة . ووقع الملك مرسوماً بتعيين ستين من الاعيان في مجلس الشيوخ . واعلن موعد افتتاح البرلمان في ٢٠ حزيران.

* اصدرت الحكومة لائحة الى المحاكم الشرعية كافة حظرت فيها على القضاة سماع اي دعوى طلاق لغير المسلمين في القطر المصري

شرقي الاردن توفي في عمان الملك حسين الاول ، ملك الحجاز السابق ، ووالد الملكين فيصل وعلي والامير عبد الله على اثر اصابته بالانفلونزا . وقد نقل جثمانه بموكب عظيم الى القدس الشريف حيث دفن في الجامع الاقصى.

تركيه في برقيات انقرة ان قد وقعت معارك شديدة بين الثوار الكرد والجيوش الايرانية ، بجوار الحدود التركية في جهات بايزيد .